530
أصوات أدبية
مصطفى نصر
t.me/qurssan

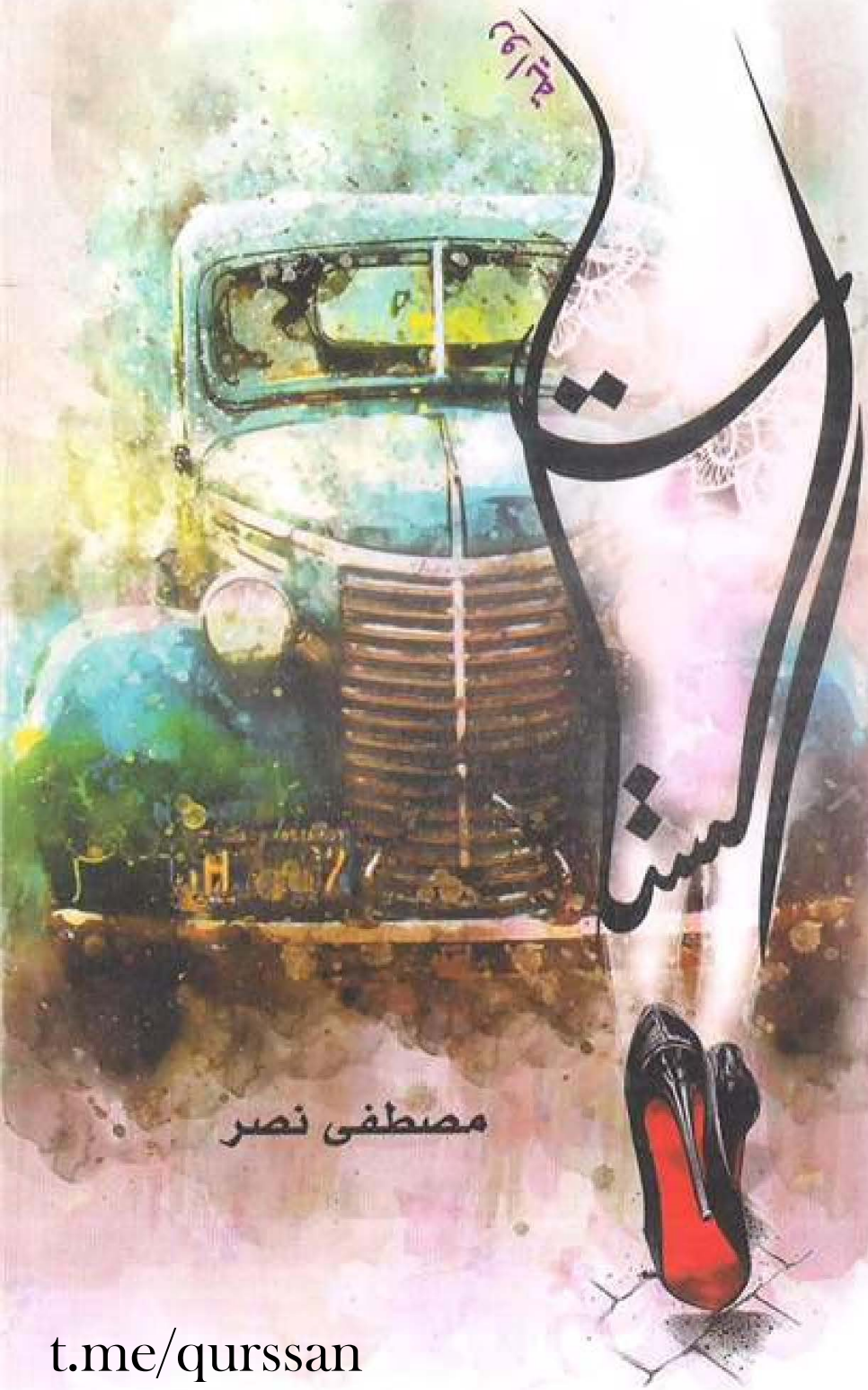

الستات

t.me/qurssan

بنات (فردوس)

t.me/qurssan

(١)

تخرج «خيرية» من بيتها القصير، تصعد الدرجتين المصنوعتين من الطوب الجيري لتصل لأرض الحارة، تتبعها أختها «صبرية» تسيران حتى الجبل الترابي الذي يعلو الحارة، فتجدان «نجوى» واقفة في قلق تحرك ساقيها حركات رتيبة، تضحك «صبرية» قائلة: ستغضب «نجوى» لتأخرنا.

تبسم «خيرية» دون تعليق، تصيح «نجوى» عندما تقتربان:

مللت من الوقفة، كدت أمشي.

تعاتبان عليها كل صباح، فتغضب وتهدّد بأنّها لن تنتظرهما ثانية، لكنّها لا تفعل.

تعمل «نجوى» و«خيرية» في (بيوت الأزياء الراقية)، بينما تعمل «صبرية» في (محل بيع حقائب السيدات).

«خيرية» طويلة وعريضة وواسعة العينين السوداوين، ترتدي ملابس غاية في الأناقة، بعكس أختها التي تكتفي بفستان رخيص، قلّما تغيّره، تخرجان من بيتهما القصير المتهالك، وتصعدان فوق الجبل الترابي، لمنطقة أكثر رقيًا، يتابعونهما بنهم واهتمام، يندهشان لأن كل هذا الجمال يسكن في بيتهما القصير المتهالك.

«خيرية» و«نجوى» تجيدان الفرنسية، فقد درستا في (مدرسة الطائفة الإسرائيلية).

t.me/qurssan

معارف «نجوى» كثيرة، أحدهم دلها على (بيت الأزياء الراقية)، المدير – هناك – يهودي مثلها، فرحّب بها وعيّنها، هي الآن تحصّل النقود من الزبائن، وحدثت المدير عن صديقتها، فسألها:

– يهودية مثلك؟

– لا، مسلمة.

مط شفتيه وأجاب بلا حماس:

– أراها في الأول.

أصرت «صبرية» على الذهاب معهما لمقابلة المدير، حدّثت الأختين بالفرنسية، فأجابته «خيرية» بطلاقة، لكنّ «صبرية» لم تعرف الذي يقوله، فوافق على عمل «خيرية»، وعادت «صبرية» لمحل بيع حقائب السيدات.

مشغولة «نجوى» بالخزينة، يصعب أن تتركها للحظات، فالزبائن يتزاحمون أمامها، حدّثت المدير كثيرًا بأن يعفيها من هذا العمل الذي يشغلها طوال الوقت، لكنّه لا يثق في أحد غيرها، تودُّ أن تقترب من «خيرية» طوال الوقت، تتحدث معها عن أخيها «فهمي» الذي تحبه «نجوى» بجنون.

تحكي لها «خيرية» عن «عبد القادر»، فهو ابن أخت زوج أختها الكبيرة «إخلاص»، تمسك «نجوى» يدها وتشد عليها:

– احكي لي عنه.

– زارنا ليلة أمس، حاولت أن أنفرد به، لكنَّ الأسرة التفت حوله ولم تتركه لي ولو لدقائق معدودة.

وعند العودة تسير «خيرية» مع «نجوى» التي تمسك يدها في عنف.

t.me/qurssan

فتحكي «خيرية» لها عن «عبد القادر» الذي يزورهم - أحيانًا - مع خاله - زوج أختها «إخلاص».

قالت «خيرية» في هيام شديد:

- أتمنى لو يخطبني.

تحكي لها عن شكله، وجهه الأسمر وطوله الباسق، وشاربه الكث، وإجادته للعبة كرة القدم.

- عندما يلعب ناديه - السواحل - مع الأهلي أو الزمالك، يذيعون المباراة في التليفزيون، ويمكن أن تشاهديه حينذاك.

الغريب أنَّه لم يحس بـ «خيرية» رغم جمالها الواضح.

° ° °

الحارة التي تسكنها «إخلاص» - مع أمها «فردوس» وأختيها «خيرية» و«صبرية» اسمها «عبد اللاه نصار» على اسم جد زوجها، يقولون أنَّ الحكومة أطلقت اسمه على الحارة لأنه يمتلك بيوتا كثيرة فيها، لكنَّ البعض أكَّد بأن البلدية وقتها، كانت تسمي الحارة باسم صاحب أول بيت فيها، ولكنَّ «عبد اللاه نصار» امتلك بيوتًا كثيرة، ليس في هذه الحارة فقط وإنما في حواري وشوارع أخرى في المنطقة.

أنجب «عبد اللاه نصار» ابنين، الأول سماه «ياقوت» والثاني «أبو الدهب»، هو وولداه رغم أنَّهما من أصول صعيدية، إلا أنَّ شكلهما قريب جدًا من شكل الخواجات، (يؤكد البعض أن جده كان مملوكًا، هرب من مطاردة الوالي «محمد علي باشا» وعاش في (سوهاج)، وتزوج وأنجب فيها).

ابتدع «عبد اللاه نصار» - عندما جاء لهذا الحي - مهنةً «جمع الزبالة»، فقد اشترى عربة عالية الجدران، وحمارًا يجرها، ودقَّ أبواب

t.me/qurssan

الشُقق في (منطقة الإبراهيمية)، سائلًا عن زبالتهم، فأخرجوا إليه صفائح الزبالة المتلئة، فرمى ما بها داخل قفّته التي يحملها على ظهره، وعندما امتلأت عربته – عالية الجدران – ذهب بها إلى (شطّ ترعة المحمودية)، فرز كل شيء، فوضع الورق في جونية من الخيش، والأقمشة المهترئة في لفة كبيرة، ووضع أكواز علب المربى والسلمون في قفف أخرى، حتى بقايا الخبز جمعها وباعها لمربي الدوجن في البيوت.

ودقّ أبواب الشُقق أول الشهر، مادًا يده ومطالبًا بالأجرة، فدفعوا له القروش القليلة فاغتنى واشترى بيوته الكثيرة في المنطقة، وسار على دربه الكثير من أقاربه، فعمل عليهم شيخًا للزبالين، ثم ابتعد تدريجيًا عن مهنة جمع الزبالة، فقد أسس لولديه – «ياقوت» و«أبو الدهب» – قسمين للزبالة، أحدهما ترك له (حي الإبراهيمية)، وانشأ للأخر حي (سبورتنج). وتفرغ هو لزوجاته الأربعة، ولبيوته الكثيرة ومشيخة الزبالة التي يكسب منها كثيرا.

«سيد» – ابن «ياقوت» – كان قريب الشبه من جده، تدويرة وجهه، وشاربه الأصفر وعينيه الواسعتين، وجسده القوي لذا كان «عبد اللاه نصار» يفضّله على كل أحفاده، ويقرّبه منه.

يرسل «ياقوت» ابنه «سيد» لتحصيل الأجره، وترميم الجدران، وتصليح درجات السلم الخشبية في البيوت التي أصبحت من نصيبه في تركة والده «عبد اللاه نصار».

فقابل الابنة الكبيرة لـ«فردوس» – «إخلاص» – التي أعجبت به، فأعدّت الشاي له ولكل الصنايعية الذين يعملون في أصلاح البيت، كانت وحدها في الشّقة، فأمها «فردوس» تخرج في الصباح ولا تعود إلا متأخرة.

t.me/qurssan

وكذلك تفعل أختاها - «خيرية» و«صبرية» - وتزوجها «سيد»، أسكنها في بيت أكبر من البيت الذي يسكنونه، وفي شارع أطول وأكثر اتساعًا.

سار «سيد» على الدرب الذي سار عليه جده «عبد اللاه نصار» فقد أوكل مساعديه للعمل في قسم الزبالة الذي يمتلكه، وافتتح شونة في شارع قريب من الحارة التي كانت تسكنها «إخلاص» مع أمها وأختيها، يشتري فيها (ورق الدشت) من الزبالين الكثيرين في المنطقة، ويبيعه لشركة الورق فاغتنى، واشترى سيارة، يضعها طوال الليل بجوار باب بيته، وتقف في النهار قريبًا من شونته.

مشكلة «إخلاص» مع زوجها، غيرتها الدائمة عليه، فهو وسيم، وقوي وغني، لذا تهواه النساء وتطارده، وقد جاءت بابنتها وابنها الصغير حاملة حقيبة ملابسها وملابسهما لأنها رأته يقرفص على باب شونته ليتابع فتاة فلاحة جميلة تسكن البيت المقابل لشونته، كانت تجلس على درجات سلم بيتها تتابعه وتبتسم له.

قالت «فردوس» لها:

- غيرتك هذه ستضيع زوجك منك.

فنظرت إليها في غضب، ودقّت ابنتها التي تبكي على الأرض.

العائلة كلها تعرف عادات «إخلاص»، عندما تكون راضية عن تصرفات زوجها «سيد» ترقص وتغني طوال الوقت، لكن إذا غضبت منه، تنوح وتبكي وتضرب ابنتها وابنها طوال الوقت.

تنتظر «إخلاص» أن يأتي «سيد» معتذرًا لها ليعيدها إلى بيته، لكنَّ اليوم مر ولم يسأل، وها هو اليوم التالي قد جاء وهي في حالتها، عصبية وباكية. و«فردوس» - أمها - تتابعها في أسى وتمصمص شفتيها من وقت لآخر.

t.me/qurssan

كاد اليوم التالي ينتهي أيضًا، و«سيد» لم يأت، فنامت «فردوس» من التعب، ودخلت «خيرية» و«صبرية» حجرتهما، وظلت «إخلاص» في الصالة تبكي وتضرب في ابنتها وابنها الصغير.

دقّ باب الشُقة فاستيقظت «فردوس» وجلست على السرير، وفعلت «خيرية» و«صبرية» مثلها، فحتمًا الآتي هو «سيد» زوج «إخلاص» جاء ليخلصها من أساها وحزنها، ويريح الطفلين البائسين من قسوة أمهما.

لم يخرجن للصالة، انتظرن ليعرفن من القادم الآتي، وسمعن صوت «سيد» الذي يعرفنه جيدًا:

- مساء الخير يا «إخلاص».

- لماذا لم تأت لأخذي بالأمس؟

أسرعت الأم للصالة وتبعتها ابنتاها «خيرية» و«صبرية» وسمعن صوت «سيد»:

- تفضل يا «عبد القادر».

ازدادت دقات قلب «خيرية»، فقد جاء «سيد» ومعه ابن أخته - «عبد القادر» - ليعيد زوجته.

وارتاحت «فردوس» من عناء بقاء ابنتها «إخلاص» عندها.

التفّت الأسرة كلها حولهما، اتسعت ابتسامة «فردوس»، فغضب ابنتها «إخلاص» من زوجها يعذّبها، وأسرعت «صبرية» لتعد الشراب لهما، فهي تعرف أنَّ «خيرية» لن تبرح المكان الذي يوجد فيه «عبد القادر»، ستظل تتابعه، وتبتسم له، وتحاول أن تلتصق به، تحدّث «عبد القادر» قائلًا لزوجة خاله:

- خالي لا يحب سواك، وكل ما بك مجرد أوهام.

t.me/qurssan

اقتربت «خيرية» من أختها «إخلاص»، وقرصتها من ذراعها لكي لا ترد على «عبد القادر» وتغضبه، وصاحت «فردوس»:

– قومي يا «إخلاص» مع زوجك، وهدي السر.

ترددت بعض الوقت، ثم أسرعت لتضع ملابسها وملابس ابنتها وابنها في حقيبتها، وعادت مع زوجها و«عبد القادر» – ابن أخته –

ooo

تتذكر «خيرية» أيام كانت «فاطمة الشيخ» – التي تسكن البيت المواجه لبيتها – صديقة لها ولأختها «صبرية» ولـ «نجوى» تذهب معهنً لـ (سينما ركس)، ولحديقة الحيوانات و (انطونيادس) في النزهة.

تعرف «فاطمة الشيخ» مدى الحب الذي تحبه «خيرية» لـ «عبد القادر»، وتسألها عنه كثيرًا.

وفجـأة عُلقت الأنوار والزينات والرايات في شـرفة «فاطمة الشـيخ»، وأعلنـت «إخـلاص» أنّ «عبد القـادر» – ابن أخت زوجها – سـيخطب جارتهم «فاطمة الشيخ».

أحسّت «خيرية» بأن المكان يدور بها، وأن حلقها جفّ، رددت لنفسها في أسى: « أنا التي لفت نظرها إليه، فهي تعرف مدى حبي له، ولا أستطيع العيش بدونه، لقد خانتني، شغلته وذهبت إليه في معسكر التدريب القريب من مستشفى الأوقاف حتى أعجب بها وخطبها».

t.me/qurssan

(٢)

تسير «فاطمة الشيخ» أمام (بحر الأنفوشي)، فيتوقف صانعو شباك الصيد عن العمل ليتابعوا جسدها الطويل العريض الذي يهتز مع دقات حذائها العالي فوق بلاطات الرصيف، ويخرج «سالم الصعيدي» من (الكازينو) بعد أن تبتعد الشمس عن المدخل، يضع عماله شيشته وكوب الشاي الثقيل فوق مائدة صغيرة بجواره ويبتعدون عنه، يتركونه لأحلامه، فهو ينصرف في ذلك الوقت عن أعماله تمامًا، يعتذر عن أي لقاء مهما كانت فائدته له.

تقترب «فاطمة» من (الكازينو)، فتزداد دقات قلب «سالم»، يترك «سم الشيشة من يده، يضعه على الحافَة، ويتمتم بكلمات غير واضحة. وعندما تصل إليه، يواجهه صدرها الناهد الأبيض مثل البلور، فيتنهد في أسى: « بنت الـ..... تعرف مدى جمالها لذا تحرص على أن تظهر بعضه، فالكثيرون غالوا في مدحه..... »

يفاجأ «سالم» بـ «جميلة» التي تشوي الذرة قريبًا من باب (الكازينو):

- تنهيدتك ستحرق (الكازينو) وما حوله.

ينظر إليها في ضيق ثم يشيح بيده عنها ويعود لشيشته وناره الملتهبة.

حتمًا رأته البنت «جميلة» وهو يحاول إيقاف «فاطمة» ليتحدث معها، ورأتها وهي تتجاهله وتُسرع الخُطا في طريقها لمقابلة خطيبها «عبد القادر» في خفر السواحل القريب، فهي تذهب إليه في كل يوم في مثل هذا الوقت.

t.me/qurssan

يعرف «سالم» أنَّ «فاطمة» مجرد ممرضة في مستشفى المواساة، أهلها في أشد الحاجة إلى راتبها، وللبقشيش الذي تتحصل عليه من المرضى هناك: «لكن بنت الـ.... مشغولة بـ «عبد القادر» العسكري ولاعب الكرة في نادي السواحل، هي لا تعرف مصلحتها، فدخل خطيبها من عمله، زائد مكافآت الفوز في مباريات كرة القدم، أقل مما يكسبه هو في أقل من أسبوع، فلماذا التمسك به؟!»

«سالم» متزوج وأكبر أبنائه يستعد للزواج الآن لكنَّه - ولله الحمد - في صحة تقدر على أربع نساء - كما أتاح الشرع - ولديه مالًا يكفيه لمائة عام قادمة وإن كفَّ عن العمل وأغلق (الكازينو).

البنت «جميلة» - بائعة الذرة المشوي - ذهبت لزوجته وحذرتها من «فاطمة الشيخ»، لكنَّ المرأة لم تفاتحه في هذا، هي تعلم أنَّه يهوى «فاطمة»، ولن تتحرك إلا عندما يشرع في الزواج منها، وما دام الإعجاب لم يصل لموضوع الزواج فلا شيء يهم.

°°°

بعد أن يتلاشى جسد «فاطمة الشيخ» من أمامه، يُسرع للداخل ليستأنف عمله، وقد عرف عماله هذا عنه، فيتساءلون في حذر وفي صوت خافت:

- هي عدت ولا لسه؟

تصل «فاطمة» إلى معسكرات السواحل فتجد «عبد القادر» في انتظارها، يسيران معًا قريبًا من البحر، يجلسان على السياج، تفتح لفائفها وتقدم إليه سندوتشًا، لكنَّه يشيح برقبته عنها:

- ليست لي رغبة في تناول أي طعام.

- مالك؟

t.me/qurssan

- كل شيء يضايقني، ما آخذه من عملي لا يكفي لنفقاتي الخاصة، ومكافآت لعب الكرة قليلة وتذهب للسفر والانتقالات.

ما زالت تمد يده بالسندوتش: تناوله مني وكل.

أمسك السندوتش، وأخذ يلوك الطعام شاردًا.

تشتري السندوتشات والحلوى والمثلجات في طريقها وهي عائدة من المستشفى، قالت: ستتعدل الأمور في القريب.

لم يجبها، فأكملت: دخل المستشفى عندنا «عبد ربه الفوال».

توقف عن مضغ الطعام وصاح في دهشة: من؟، رئيس دولة .....؟!

قطمت قطعة من الشيكولاتة ولاكتها في تلذذ، ثم قالت:

- لم يعد رئيسًا، قاموا بانقلاب عليه وعزلوه، فلجأ لمصر.

- سيجري عملية جراحية؟

لأنه يعاني من «البلهارسيا».

عاد إلى الحلوى التي قدمتها إليه قائلًا: هي دولته تعرف «البلهارسيا» مثلنا؟

لا يطول الحديث، يعود «عبد القادر» إلى معسكره، وتسير هي في طريقها إلى بيتها.

تفكر في «عبد ربه»، عندما نقلوه إلى المستشفى وحجزوه في قسم «الباطنة» شاع الخبر: رئيس دولة سابق مريض ومحجوز في المستشفى.

هي في حاجة إلى المال، والدها كان مقرئًا مشهورًا في (حي بحري)، وعلى مستوى (الإسكندرية) كلها لذا أطلقوا عليها لقب «فاطمة الشيخ».

الرجل كبر، ولم يعد قادرًا على القراءة في المآتم والاحتفالات الدينية.

آه .. لو تقابل «عبد ربه» هذا، يعطيها مبلغًا كبيرًا، يساعدها على

t.me/qurssan

الزواج من «عبد القادر»، وتغني به عائلتها.

تذهب إلى البيت، جوُّ الشَّقة خانق، تعرف أنَّ والدها في حجرته لا يخرج منها، فمنذ أن ابتعد عنه المآتم والحفلات الدينية، وهو مكتئب، لا يكف عن التنهد، يسألها عن نقود ليشتري سجائر، تقول له: كفَّ عن السجائر فهي سبب مشكلتك.

فيغضب ويشيح بوجهه عنها صائحًا: لا أريد منك شيئًا.

تسرع بإخراج القروش من «بوكها»، وتعطيها له:

لا أقصد يا أبي، السجائر هي التي جعلتك لا تستطيع التطويل في

يرمي النقود في وجهها، ويصيح: ما زلت أفضل مقرئ في (الإسكندرية)، قرأت القرآن في (قصر رأس التين) أمام «الملك فاروق».

* * *

بدت «فاطمة» شاردة وهي في المستشفى، أدّت عملها في صمت، أحس الأطباء - الذين يعملون معها - أنَّها على غير عادتها، سألها أحدهم: مالك؟، هل والدك مريض؟

قالت في صوت خافت وفي أسى: لا.

وفجأة تركت عملها وأسرعت إلى طرقة المستشفى الطويلة، وسط دهشة الممرضات زميلاتها والأطباء الذين تواجدوا في الحجرة وقتذاك، أسرعت إلى حجرة المدير وقدمت طلبًا للعمل بقسم الباطنة، وادعت أنَّها غير مرتاحة في العمل مع زميلاتها هنا.

أحسّ البعض بأنَّها نقلت نفسها من أجل «عبد ربه»، الرئيس السابق

t.me/qurssan

لدولة .....

لم يكلفها رئيس القسم بعمل إلى الآن، ظلَّت جالسة في حجرة الممرضات شاردة، تتمنى أن تسمع صوت جرس حجرة «عبد ربه»، لكنَّه لم يفعلها، كما أنَّه لم يخرج من الحجرة في طريقه لدورة المياه.

وقفت وأطلت من النافذة، زفرت في أسى، فالوقت يمر، وكادت دوريتها تنتهي دون أي تقدم في علاقتها به، الرجل لم يكتشف جمال تدييها.

سمعت صوته في الطرقة يتحدث مع أحد حراسه، عندما وصلا لباب الحجرة، أسرعت وفتحته له، وتبعته في الدخول، وانتظرت حتى نام على السرير، فجلست على المقعد أمامه، قال:

- تريدينني في شيء؟ سأصدقك القول، أنا مبهورة بمقابلتك، ليس سهلا أن أقابل رئيس دولة هنا في المستشفى.

ضحك طويلًا ثم قال:

- لم أعد رئيسًا.

- المهم أنَّك كنت رئيس دولة عربية في يوم من الأيام.

- أنت جريئة للغاية، وأنا معجب بجرأتك هذه.

- صدقني، إنَّني أكثر المرضات التزامًا وخجلًا، لكنَّ هيبتك وشموخك يجعلاني أسعد بالحديث معك.

- جئت هنا لكي أعالج من «بلهارسيا» قديمة عندي، واستطاع الأطباء أن يقضوا على المرض، وسأخرج من المستشفي خلال يومين على الأكثر.

أحسَّت بالمسئولية، فلا بد أن تنتهي من مهمتها قبل أن يخرج، فقد

t.me/qurssan

يغادر (الإسكندرية) أو يرحل عن مصر كلها.

سمعت جلبة في الخارج فقامت فزعة حتى لا يراها أحد وهي جالسة أمامه.

وأسرعت بإدخال الطعام إليه، لكنَّه أبدى رغبة في أن تتركه لطعامه، فهو يفضل ألا يراه أحد وهو يأكل.

خرجت من المستشفى، ذهبت إلى «عبد القادر» - الذي كان في انتظارها - لاحظ أنها لم تشتر سندوتشات وأطعمة ككل مرة، وأنها شاردة طوال الوقت:

- مالك؟

- اقترب موعد زواجنا.

صاح مندهشًا:

- ما الذي تغير؟

- أيام قلائل وسأجد لك عقد احتراف في (نادي بالكويت).

- هل دخل مستشفاكم أمير كويتي؟!

- لا، «عبد ربه الفوال» سيحقق كل شيء.

- قابلته؟

- وتحدثت معه.

قال في صوت خافت:

- لا أريد احتراف، كل ما أريده أن تبتعدي عن هذا الرجل.

وقفت غاضبة:

- ما الذي تقوله؟ «عبد ربه» هو الأمل لي ولك ولأسرتي.

- خائف عليك منه.

t.me/qurssan

- أتشك في أخلاقي؟!

- لا طبعًا، لكن أشك في أخلاقه هو، صدقيني كل شيء بثمن، فإن قدَّم لك خدمة، سيطالبك بثمنها.

- لن يأخذ مني شيئًا، اطمئن.

وقف قائلًا:

- لن أبقى معك طويلًا فالتدريب سيبدأ بعد قليل.

سار بينما ظلت هي تتابع السيارات المسرعة والتي تتسابق نحو رأس التين.

***

جلست في حجرة الممرضات وحدها صامتة، فوجئت بالباب يفتح دون استئذان، وحارس «عبد ربه» يصيح فيها بوجهه الجامد: سيدي الرئيس يطلبك.

دهشت، تركت ما في يدها وسارت بجواره، كان عابسًا كأنَّه يقبض عليها.

«عبد ربه» جالس على مقعد، يرتدي ملابس الخروج، ولحيته محلوقة. قال:

- سأخرج من المستشفى الآن.

- حقًا؟!

أشار لحارسه، فترك الحجرة وخرج، قال: اجلسي.

جلست أمامه.

- أريد أن أقابلك خارج المستشفى.

من هول المفاجأة لم تصدق أنَّه طلب مقابلتها، فكرر ما قاله ثانية:

t.me/qurssan

- إنني أسكن فيلا في (السيوف)، تعرفينها؟

- أعرف (السيوف) طبعًا.

أخرج ورقة من سترته وقدمها إليها:

- هنا عنوان الفيلا ورقم التليفون، اتصلي بي مساء لأحدد لك موعد اللقاء.

ووقف معلنًا انتهاء زيارتها له، فوقفت شاردة، دخلت حجرتها في البيت حاملة التليفون، اتصلت بالرقم، أجابها الحارس الخاص، ثم سمعت صوت «عبد ربه» بعد لحظات، اتفقا على أن تذهب إليه في الصباح.

رمت سماعة التليفون وأخذت تغني فرحة، فقد تحقق لها ما تمنت وأرادت، «عبد ربه» لديه ذهب ونقود معبأة في زكائب، سينقلها إلى عالم خيالي طالما تمنت أن تعيش فيه.

الفيلا كبيرة وواسعة، ولها حديقة يعمل بها أكثر من بستاني، هذا غير الخدم في الداخل.

لم تذهب «فاطمة» إلى المستشفى ثانية، ولم تسأل عن مرتبها.

٠٠٠

جاء «عبد القادر» إلى البيت قلقًا عليها، لكنّه لم يجدها، مر الوقت وهو جالس معهم في الصالة منتظرًا عودتها:

- لا بد من البحث عنها، فالساعة تقترب من الواحدة صباحًا الآن.

ظلت الأسرة ساهرة طوال الليل، تسأل زميلاتها في المستشفى، فلم يجدوا جوابًا.

عاد «عبد القادر» إلى معسكره في الصباح، استأذن وعاد إلى بيت

t.me/qurssan

«فاطمة»، ظلُّوا هكذا حتى جاءت زميلتها في المستشفى، قالت:

لقد أبدت اهتمامًا غير عادي بـ«عبد ربه» رئيس دولة ..... المعزول.

انضحت الحقيقة، فـ«فاطمة» تركت كل شيء وعاشت مع «عبد ربه» في ليلته كزوجة.

وشاع الخبر في (حي بحري): «فاطمة الشيخ» تركت خطيبها «عبد القادر» لاعب الكرة المعروف بـ (نادي السَّواحل)، وتركت أسرتها من أجل «عبد ربه» وهي تنتقل الآن بسيارة، تقودها بنفسها.

كانت فضيحتها أكبر من فضيحة والدها المقرئ السابق في قصر رأس التين، والذي يقرأ الآن على الموتى في (مدافن عمود السَّواري).

٭٭٭

وقفت السيارة الفارهة أمام (معسكر السَّواحل)، خرجت «فاطمة» منها لمقابلة «عبد القادر»، فجاء مسرعًا، وجدها أمامه بملابسها الغالية الثمن، ابتسمت له ومدت يدها سعيدة: وحشتني يا «عبد القادر».

صاح غاضبًا:

- ماذا تريدين مني؟!

- جئت إليك بعقد احتراف في (الكويت) كما وعدتك.

صاح مرة أخرى:

- ابتعدي، لا أريد رؤيتك.

- لقد فعلت كل هذا من أجلك.

- أرجوكِ، لا أريد رؤيتك ولا أريد عقود احتراف، فقد اعتزلت الكرة

t.me/qurssan

من أجلك.

أمسكت يده وبكت:

- لا تتركني، كل ما فعلته لكي أجد مالًا لنتزوج.

- لن أتزوجك مهما حدث.

شدَّ يده من يدها وأسرع نحو ملعب التدريب بالداخل.

***

وقفت حائرة للحظات، تابعها الجنود الكثيرون الذين يقفون بجوار البوابة الواسعة، فاضطرت أن تعود لسيارتها، انطلقت بها إلى (حي بحري)، فقد استأذنت من «عبد ربه»، طلبت منه أن تقضي الليلة مع أسرتها، حملت الهدايا الكثيرة والأموال لهم.

عندما فتحت الأم الباب ووجدتها أمامها، صاحت غاضبة: هذا بيت طاهر، لا يدخله أمثالك.

أمسكت يد أمها وقبَّلتها: لا تغضبي علي يا أمي، إنَّني في حاجة إليك، لقد فعلت كل هذا من أجلكم.

وفُتح باب حجرة الأب فجأة، وقف بملابسه الداخلية، وصاح: أخرجي يا عاهرة.

أسرعت إليه، شدَّت جسده النحيل إليها:

- جئت بالمال الكثير الذي سيغنيك عن الذهاب إلى (مدافن عمود السواري).

دفعها في عنف وأغلق باب حجرته عليه.

وقفت وحدها في (الردهة الواسعة)، تركت الهدايا الكثيرة التي

t.me/qurssan

عادت بها وعادت إلى الشارع.

***

تتحرك «فاطمة» في الفيلا في هدوء شديد، تحس بالملل وتتمنى لو لم تكن قد جاءت إلى هذا المكان، أن تظل مع أسرتها ومع «عبد القادر» الذي مازالت تحبه وتتمناه.. قال «عبد ربه» لها:

- تغيرتِ كثيرًا منذ أن زرتِ أسرتك، حتمًا لم يرحبوا بما تفعلينه معي.

- لا ينفع هذا الكلام الآن.

من خلال محادثات الحراس والضيوف الذين يأتون كثيرًا إلى الفيلا عرفت أن «عبد ربه» مستهدفًا وأن هناك جماعات من بلده تتعقبه وتسعى للتخلص منه لأنه مازال يطالب بحقِّه الشرعي.

سألت «فاطمة» «عبد ربه» عن ذلك، فأجاب باستخفاف: إشاعات لا اصل لها.

ثم صمت قليلًا وعاد للقول: وعلى فرض أن هناك من يريد قتلي، فكيف سيصلون إليّ، وأنت ترين الحراسة القويَّة حول الفيلا.

تعرف «فاطمة» أن علاقتها بـ «عبد ربه» لن تطول، وحتمًا سيملّها في القريب ويتركها، ووقتها لن تستطيع العودة لـ «عبد القادر» ، ولا لبيت أسرتها لذا لا بد أن تؤمن مستقبلها، فحتى عملها في المستشفى انتهى، فقد تم فصلها بسبب الانقطاع عن العمل.

كانت تخفي نقودًا تحصل عليها من «عبد ربه»، وخرجت دون أن تخبره، وأودعتها في البنك.

تشرد معظم الوقت: هذه الفيلا مؤجرة، ومن الممكن أن يتركها فجأة،

t.me/qurssan

وقتها أين ستذهب؟ لذا استأجرت شقّة صغيرة في السيوف وأثثتها، وكانت تزورها عندما يسافر «عبد ربه» إلى (القاهرة) أو خارج (مصر).

تفتح الشّقة وتنام فوق السرير، وتنعس - أحيانًا - بالساعات، لكنّها تحرص على قضاء الليل في الفيلا حتى لو كان «عبد ربه» خارج (الإسكندرية).

°°°

خرجت كالعادة، كانت تجلس بجوار «عبد ربه» في السيارة، والسائق ينطلق ناحية الصحراء الغربية، وإذ بسيارة مقابلة تطلق قذائفها، قفز «عبد ربه» والسائق، ارتميا على الأرض الرملية، وفشلت هي في الخروج، تم نقلها إلى مستشفى الأميري، لقد تشوه وجهها وفقدت عينًا من عينيها.

تزاحمت المرضات لمشاهدتها.

بعد أن أنهت العلاج، خرجت وعادت إلى شقّتها، أغلقتها عليها.

هي وحيدة الآن، لا يمكن أن يتزوجها أحد، لا «عبد القادر» ولا غيره. من يستطيع احتمال رؤية وجهها المشوه؟!

خرجت في المساء، اقتربت من (الأنفوشي)، كم هي مشتاقة لرؤية «عبد القادر» ورؤية أمها وأبيها! فكرت في الذهاب إلى مدافن العمود لمقابلته وقت الظهيرة لتضمن وجوده.

سارت في الظلام بجسدها الممشوق، توقفت سيارة، وأشار أحد ركابها إليها، فأسرعت إليهم، الظلام يلف المكان فلم يتبينوا وجهها، سمحوا لها بالركوب معهم، لكنّهم صرخوا فزعًا من هول ما رأوا عندما أضاءوا النور في الداخل، فدفعوها إلى الأرض، أوقعوها على أسفلت الشارع.

تذكرت «سالم الصعيدي» الذي كان مغرمًا بها، ذهبت إلى (الكازينو)

t.me/qurssan

طلت متوارية حتى اشتد الظلام. كان «سالم» مع أسرته -زوجته وابنتيه خرج من السيارة ليأتي بشيء من (الكازينو) كانت زوجته وابنتاه الشابتان يجلسن في المقعد الخلفي.

اقتربت «فاطمة» نحو السيارة، صرخت الزوجة عندما رأتها وتبعتها البنتان، صرخن في خوف: عفريتة، عفريتة.

جاء «سالم» مهرولاً ناحية الصوت، وجدها أمامه. صاح بها:

- غوري في داهية.

طاردها العمَّال بالمكانس، جرت فانخلعت فردة الحذاء فأمسكها أحد العمال وألقاها في البحر، وسارت بفردة حذاء واحدة تبحث عن سيارة تنقلها إلى شقتها بـ (السيوف).

t.me/qurssan

(٣)

عندما تركت «فاطمة الشيخ» الحي، ارتاحت «خيرية»، وتجدَّد أملها بأن يحسَّ «عبد القادر» بها، ويأتي لخطبتها، لكنَّ هذا لم يحدث، كانت تراه آتيًا من أول الحارة، ذاهبًا لبيت أسرة «فاطمة الشيخ»، ينظر إلى الأرض حزينًا، تُلوِّح له من الشَّرفة، لكنَّه لم يرها، ولم يكلف نفسه بالنظر ناحية بيتها.

شكت «خيرية» لـ«نجوى» من تجاهله لها، تركت الخزينة، وشدَّتها من ذراعها، وذهبت بها بعيدًا قائلة:

- اذهبي إلى معسكره كما كانت تفعل «فاطمة الشيخ».

وفعلت «خيرية»، سارت أمام (كازينو) «سالم الصعيدي»، لكنَّ الرجل لم يرها، لم يعد يجلس خارج (الكازينو) لمتابعة النساء، فقد احترقت من كان يحبها، واختفت عن الأنظار.

طلبت «خيرية» مقابلة «عبد القادر»، جاء حزينًا لم يسعد لوجودها، حضورها المفاجئ ذكَّره بـ«فاطمة الشيخ» وما كان بينه وبينها، قالت:

- دعك من الماضي، وابدأ قصة حب جديدة.

لم يحس بما تقول، قال في ضيق:

- أرجوكِ، أريد أن أعود للتدريب.

وتركها وسار، تابعته في أسى وهو يبتعد، ثم عادت من حيث جاءت، دقَّ حذاؤها بلاطات الرصيف، كانت شاردة وحزينة، فـ«عبد القادر» لا يهتم بها مهما فعلت.

• • •

t.me/qurssan

نشرت الصحف حادثة احتراق سيارة «عبد ربه الفوال» رئيس دولة (.....) المخلوع، وما حدث لرفيقته، كيف تشوه وجهها؟، وضاعت مهن من عينيها؟. وذكروا بأنَّها كانت مخطوبة لـ «عبد القادر» لاعب الكرة في فريق (نادي السَّواحل) المشهور.

حملت «خيرية» الجريدة وذهبت إلى البيت.

صاحت قبل أن تغير ملابسها:

- كتبوا عن حادثة «فاطمة الشيخ» في الجريدة.

نظرت الأم إلى الكلمات، لم تجد صورًا لا لـ «عبد ربه» ولا لـ «فاطمة»، وهي لا تعرف القراءة، صاحت في ابنتها:

- دعك من «فاطمة» و «عبد القادر» وشوفي حالك.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أنَّ «عبد القادر» لا يصلح لك زوجًا، ففقره هو الذي دفع «فاطمة الشيخ» لمأساتها، مرتبه قليل، كما أن النادي الذي يلعب فيه فقير، ومكافآته محدودة.

- لكنني أحبه و.....

قاطعتها الأم في هدوء:

- أنت أجمل أخواتك، وطالما حلمت بأن تتزوجي غنيًا ينتشلنا من حالة الفقر التي لا تريد تركنا.

لم تجبها بشيء، نظرت إلى أمها في أسى، ودخلت حجرتها وظلت تنظر من النافذة إلى بيت «فاطمة الشيخ»، تذكرتها وهي تسير بقامتها المديدة المشدودة، بكت «خيرية» من الأسى، فوجود «فاطمة» كان يشغلها، تحديها لها يجعلها تنشغل بأشياء تفتقدها الآن. تنسيها حالة أسرتها،

t.me/qurssan

الآن لا تجد أي سلوى، تريد أمها أن تستغل جمالها لتغتني الأسرة، و «عبد القادر» لا يهتم بها، تركها وعاد للتدريب، لماذا لم يلحظ جمالها الذي تتحدث أمها عنه؟!

* * *

جو البيت خانق، أختها الكبيرة «إخلاص» تتشاجر كثيرًا مع زوجها لأنَّه تزوج عليها الفلاحة التي تسكن البيت المواجه لشونته، أرادت أن تترك له البيت وتأتي بأولادها لتعيش في الشَّقة، لكنَّ الأم صاحت غاضبة:

- ومن سينفق عليكِ وعلى أولادك؟!

فلم تجبها، بكت في صمت، ثم عادت إلى بيت زوجها مضطرة.

صاحت الأم: «خيرية»، جهزت الطعام لك.

أعطتها «نجوى» سندوتشًا وقت الغداء. ذلك كان منذ ساعات كثيرة، لكنَّ حالة الأسى تجعلها لا تفكر في الطعام.

- هيا يا «خيرية»، فالطعام سيبرد.

قبل أن تخرج من حجرتها سمعت دقات عالية على الباب، صاحت الأم فزعة:

- اللهم أجعله خيرًا.

أسرعت إلى الصالة الواسعة، وجدت «إخلاص» بولديها وحقيبة ملابسها.

- ما الذي حدث؟

قالتها الأم في ضيق، فما يحدث أمامها يعني أن «إخلاص» قد قررت أن تشاركهم العيش في الشَّقة.

- تركت البيت قبل أن تأتي الشرطة للقبض عليّ.

t.me/qurssan

ضربت الأم على صدرها:

- لماذا، ما الذي فعلتِه؟!

- وضعت له السم في الطعام.

ارتمت الأم على الكنبة منهارة:

- ومات؟

قالتها «خيرية» وهي ترتعش من الخوف.

- لا، نقلوه (للمستشفى الأميري).

لم تكن «صبرية» قد عادت من عملها، الدكان يتأخر، صاحبه جشع يتمنى أن يظل دكانه مفتوحًا ليلًا ونهارًا.

بقي الطعام على المائدة وسط الصالة، وحقيبة ملابس «إخلاص» تقف في الطريق، لم يفكر أحد في نقلها، عندما أحست «إخلاص» بالتعب تراجعت خطوات قليلة، وارتمت على الكنبة بجوار أمها، التي تابعتها في قرف، ولو تستطيع لطردتها من البيت لكي تلاقي مصيرها وحدها بعيدًا عنها.

جاءت «صبرية»، كان الباب مفتوحًا على غير العادة، وحقيبة «إخلاص» تشي بما حدث، فقد فعلتها وجاءت لتشاركهم طعامهم، ستأكل هي وولديها من أجرة عمل «خيرية» و«صبرية» وعمل الأم، فهنَّ اللائي يساهمن في الإنفاق على البيت، فشقيقهم «حسن» لا يدفع مليمًا، يأكل من الطعام الذي تدفعن ثمنه، كما أنَّه دائم الشجار مع الأم من أجل ذلك، يأتي معلمه الأسطى «متولي» كثيرًا ليشكوه لأمه:

- يتأخر عن الدكان، يسهر طوال الليل مع أصحابه في قهوة «خبيني»، يحششون، ويشربون.

و«فهمي» - الأخ الأصغر - ينفق أجرته من العمل على طعامه وخروجه

t.me/qurssan

مع البنت اليهودية، «نجوى» كل يوم أربعاء.

حكت الأم لـ «صبرية» ما حدث، فشردت بعض الوقت، ثم اقتربت من الطعام البارد، وصنعت سندوتشًا وأخذت تلوكه وكأنَّ شيئًا لم يحدث.

عندما زحف المساء، ازداد خوف «إخلاص» فالشرطة - عادة - ما تأتي في المساء عند القبض على أحد.

نامت «خيرية» و«صبرية» في مكانهما ككل ليلة، وضمت «إخلاص» ولديها إليها ونامت على الأرض بجوار سريرهما، و «فهمي» عندما جاء بعد حفلة الثانية عشرة فتح الباب بمفتاحه، وأخذ يأكل ما وجده على المائدة.

انقضى الليل، وجاء النهار ولم تأت الشرطة للقبض عليها. كانت «خيرية» ترتدي ملابسها وهي تتحدث مع أختها «إخلاص»:

لا بد أن تطمئني لما حدث.

- كان خوفي الأكبر أن تأتي أخواته وقريباته ويضربنني.

- سأرسل عامل المحل للسؤال في المستشفى الأميري.

لكن «صبرية» لم تعلق، ولم تبد حزنًا كما فعلت الأم و«خيرية». فقد قالت في الطريق:

- حضور «إخلاص» إلى شقّتنا ثانية سيفسد كل شيء.

- ليس لها مأوى سوانا.

- الشَّقة صغيرة وتسعنا بالعافية.

- لماذا لا تفكرين في الأهم، المصير الذي ينتظر أختك لو مات زوجها من أثر السم.

- خطورة حدوث هذا ليس في «إخلاص»، وإنَّما في الولدين، من سينفق

t.me/qurssan

عليهما؟

لم تجبها بشيء، وسارت صامتة طوال الوقت.

فكرت «خيرية» في الذهاب ثانية إلى معسكر «عبد القادر» ومقابلته، ستتخذ من حادثة أختها مع خاله وسيلة للحديث معه، لكنَّها خافت من أن يدفعه غضبه لما حدث لخاله لأن يثور عليها، أو يصفعها على وجهها.

حكت لـ «نجوى» ما حدث، فطمأنتها:

- غسيل المعدة سيزيل أي أثر للسم، اطمئني.

- أريد أن يذهب الولد «علي» للسؤال عنه في (المستشفى الأميري)

صاحت «نجوى» في «علي»، فهو يستجيب لها أكثر من «خيرية»، فـ«نجوى» الأقرب لمدير المحل، في غيابه، هي التي تدير الأمور، فهي تعمل في (بيت الأزياء الراقية) قبل «خيرية» بسنوات عديدة، كما أنها تكثر من تقديم الأموال والهدايا لـ «علي».

حكت له عمَّا حدث، وطلبت منه أن يذهب للسؤال عن المريض ويسرع بالعودة قبل حضور مدير المحل.

عاد «علي» بعد ساعات قليلة، قال:

- اطمئنوا، زال الخطر عنه، وسيعود لبيته في الغد.

شردت «خيرية»، وانشغلت «نجوى» بالزبائن الذين يسددون ثمن مشترياتهم.

ما دام زوج «إخلاص» زال عنه الخطر، فيمكنها الذهاب لمقابلة «عبد القادر»، ستطلب منه أن يحدث خاله، ويطلب منه أن يغفر لـ«إخلاص» ويسامحها من أجل الطفلين.

عند انتهاء وقت العمل، قالت «خيرية»:

t.me/qurssan

- «نجوى»، لن أعود معك للبيت..

- ستذهبين لـ «عبد القادر» ، خذيني معك، فأنا لم أره للآن.

- لا.

- صدقيني، ذهابي معك سيفيدك كثيرًا، فسأستطيع التأثير عليه.

لم تكن متحمسة لذهابها معها، لكنَّها صمتت، فربما وجودها يمنعه من أن يقسو عليها أو يضربها.

***

في هذه المرة، كان «سالم الصعيدي» واقفًا أمام باب (الكازينو)، وظلَ يتابعهما باهتمام حتى ابتعدتا واقتربتا من المعسكر.

عندما أبلغ الجندي «عبد القادر» بأن فتاتين ترغبان في مقابلته في الخارج، أحس بالضيق، فحضور «فاطمة الشيخ» كل يوم تقريبًا، كان يسبب له مشاكل مع المدرب ومع زملائه. فكانوا يعلقون في سخرية، لكنَّه لم يكن يعبأ بذلك، «فاطمة الشيخ» تستحق أن يتحمل كل هذا من أجلها، لكنَّ غيرها لا يستحق.

سار بلا حماس، عندما رأي «خيرية» أكفهر وجهه بالغضب، وتمنى لو عاد ثانية. ابتسمت وأسرعت ناحيته:

- لك وحشة يا كابتن.

تابع زميلتها التي يراها لأول مرة، اقتربت «نجوى»، مدت يدها له مصافحة:

- (الإسكندرية) كلها فخورة بك.

سحب يده من بين أصابعها وردد في آلية:

- أهلًا.

t.me/qurssan

أحست «خيرية» بأنَّه غير سعيد بحضورهما، فصاحت:

- جئت من أجل أختي «إخلاص».

زفر في أسى:

- كادت تقتل خالي.

- الحمد لله، الخطر زال.

قالت «نجوى»:

- يمكنك أن تحدث خالك لكي تعيد المياه لمجاريها.

نظر إلى «نجوى»، ثم اتجه ناحية «خيرية» وصاح:

- خالي مصمم على الطلاق.

ثم سار بعيدًا عنهما، ظلَّتا تتابعانه وهو يبتعد ثم عادتا إلى الطريق، كانتا في غاية الحزن، شاهدهما «سالم الصعيدي» وظل يتابعهما في اهتمام قبل أن يدخل باب (الكازينو).

٥٥٥

قالت الأم في أسى:

- المصائب لا تريد أن تتركنا، منذ أن مات أبوكم وأنا أعاني منكم، الكبيرة ضيعت نفسها بغيرتها وغبائها، تزوج زوجها عليها من نكدها الدائم معه، والثانية تضيع وقتها مع لاعب كرة، ويا ليته يهتم بها، والثالثة لا تكف عن الرقص بمناسبة وغير مناسبة، ترقص أمام المرآة، وفوق السرير و....

قاطعتها «صبرية» قائلة:

- أنا أقلُّهم تكاليفًا، فالرقص لا يتطلب مالًا.

بكت المرأة وأكملت:

t.me/qurssan

- والولدان، الكبير يضيِّع أمواله على الحشيش، والثاني يضيعها على اليهودية صديقته.

أمسكت «خيرية» يد أمها قائلة:

- كفي عن هجومك على «إخلاص»، فمنذ أن علمت أنَّه سيطلقها وهي منهارة.

- منهارة؟! أنتِ وباقي أخوتك لا تشعرون بالنار التي أكبشها بيدي، من أين سأنفق عليها وعلى ولديها؟ النقود لا تكفي لأيام قليلة في الشهر، لولا النقود التي أحصل عليها من ..... (لم تكمل المرأة وانخرطت في البكاء).

ضمتها «خيرية» لصدرها، ونظرت «صبرية» إليها في صمت، ثم دخلت الحجرة التي تجلس «إخلاص» فيها بولديها، قالت «إخلاص»:

- أمك لا تريدني في البيت، أين أذهب بهذين الولدين؟!

قالت «صبرية»:

- الحل أن تبحثي لك عن عمل، فلن يتحمل مصاريفك أحد.

- اوجدي لي عملا، أي عمل.

- لن يناسبك سوى عمل أمك.

صاحت «إخلاص» في أسى:

- أخدم في البيوت؟! لا.

***

تصحو «إخلاص» في نفس الوقت الذي تصحو فيه «خيرية» و«صبرية»، تشرف على إطعام الولدين، وتوصيهما بألا يحدثا شغبا في غيابها، ولا يخرجان من الشَّقة، حتى تعود إليهما.

t.me/qurssan

تنتظر حتى تخرج «صبرية» و«خيرية»، فتضع كتبًا دراسية في «شبكة» ليسهل على المارة التأكد من أنها طالبة جامعية، وتنزل إلى الشارع، «إخلاص» رغم زواجها وإنجابها لولدين، من يراها يظنها لم تتزوج بعد، ولو ادعت أنها طالبة في كلية، سيصدقها البعض وسيتعاملون معها على هذا الأساس.

تذهب (للشلالات) قريبًا من (كلية الطب)، تسير متسكعة هناك، تشير للسيارات الملاكي ذات الماركات الغالية، هي طالبة وفي حاجة لمن يوصلها، كانت أول تجربة لها صعبة للغاية. رجل مسن ممتلئ، يلبس نظارة، أجلسها بجواره، سألها عن كليتها، قالت الطب. قال:

- طالبة مازلتِ، أم دراسات عليا؟

لم تفهم، فلم ترد، تابع عناوين الكتب، وجدها كتب كلية الحقوق. فأحس بما تريد، أخذها لشقته، ودفع لها مبلغًا لم تكن تحلم به.

ما أخذته منه أغناها اليوم كله، أسرعت وعادت إلى البيت محملة بالأشياء لولديها ولأمها ولأختيها، سألتها أمها:

- من أين لك كل هذه النقود؟

- من عملي.

- أي عمل هذا الذي يأتي بكل هذا في يوم واحد؟!

صاحت «صبرية» غاضبة:

- أمرك عجيب يا أمي، تغضبين لعدم عملها، وتغضبين الآن لأنها عملت وأتت بنقود؟!

t.me/qurssan

(٤)

تذهب «خيرية» مع «نجوى» إلى (سينما ركس) في حفلة الساعة الثالثة يوم الأربعاء - فهي مخصصة للنساء - ممنوع لأي رجل دخولها.

«فهمي» - شقيق «خيرية» والذي يعمل في السينما - في انتظارهما، يجلسهما في ركن بآخر الصالة المزدحمة بالرجال فالعاملون بها يستضيفون معارفهم وأصدقاءهم ليختلوا بعشيقاتهم، فيجلس «فهمي» بجوار «نجوى»، يشير لزميله الذي يبيع المثلجات لأن يفتح ثلاث زجاجات قازوزة.

تتابع «خيرية» «نجوى» وتضحك مما تفعل، فهي تنسى كل شيء، عندما تكون مع «فهمي»، يتغير شكل وجهها من شدة الوجد.

«نيقولا» - اليهودي مثلها - يحبها ويأتي إلى شقتهم كثيرًا محملًا بالهدايا، لكنَها لا تحبه، «نيقولا» غني، أبوه يمتلك محلا لبيع «الكينا» (بسانت كاترين)، وتوكيلًا لبيع السجائر، قالت «خيرية» لها:

- «نيقولا» هو الأنسب لك، فهو يهودي مثلك.

فتشيح بوجهها عنها في ضيق:

- إنَه قصير، لا، لا، أنا أحب أخاك «فهمي».

تضحك «خيرية» ولا تعلق.

تخرج «نجوى» من (سينما ركس)، يودعها «فهمي» بأن يشد على يدها، تنظر إليه في هيام شديد، وجهها أحمر، تنظر «خيرية» إليها في ابتسام، تسيران معًا، «نجوى» ما زالت متأثرة بما فعله «فهمي» بها، تضحك «خيرية»:

t.me/qurssan

- «نجوى»، لقد تركنا السينما، إنَّنا في الشارع الآن.

تسير «خيرية» و«نجوى» إلى الناحية الأخرى من الطريق، تنتظران الترام المؤدية لبحري، تقرص «خيرية» «نجوى» من ذراعها العارية المتلئة:

- فوقي يا «نجوى».

تنظر إليها في صمت:

- سننزل المحطة القادمة.

- لا، سأذهب لأبي في الدكان.

تسرع «خيرية» إلى الباب لتنزل وتلوح لها من بعيد، تذهب إلى البيت، «صبرية» مازالت في العمل، و«إخلاص» حزينة، لا تعرف ماذا ستفعل؟ و«فهمي» إجازته اليوم، عندما تراه تتذكر «نجوى» وشغفها به، تبتسم «خيرية»:

- «نجوى» مجنونة بك.

- أعلم.

- لم هذه الثقة العالية؟

- أخوكِ لا تستطيع فتاة مقاومة سحره.

تدفعه في صدره، حتى تلقيه على السرير:

- لا تغتر هكذا، البنت مجنونة، وأخاف إن تزوجتها تتصرف مثل «سميرة» زوجة «متولي» «الكونترجي».

ضحك «فهمي» قائلًا:

- حرام عليك، أنا لست في قدرة «سميرة»، يكفي ما فعلته في أخينا.

t.me/qurssan

تشرد «خيرية»، الكل يتحدث عن علاقة «سميرة» بـ «حسن»، يزورها في الليالي التي يكون زوجها محجوزًا بالمستشفى، ولا يخرج إلا في الصباح، «خيرية» تخشى أن يلاقي مصير «متولي الكونترجي» تحاول إبعاد هذا الهاجس البغيض عن عقلها، وتصيح في «فهمي»:

- هل جهزت نفسك للزواج من «نجوى»؟

ينام على السرير في سعادة:

- الأمر سهل للغاية، المهم أن تتعلق «نجوى» بي أكثر، فتجبر «يعقوب» الرهوناتي» لكي يزوجني في شقته، ويكتب لي دكانه.

- وأين سيذهب «يعقوب» وزوجته؟

- سيهاجران إلى كندا، هكذا أخبرتني «نجوى».

- محظوظ أنت يا «فهمي»، فالبنت فضلتك على «نيقولا» الغني واليهودي مثلها.

ooo

تنزل «نجوى» في شارع الباشا، تسير خطوات قليلة، فيواجهها دكان «يعقوب» الرهوناتي» الذي يقف أمام « أدراجه» الكثيرة التي بلا غطاء، يراجع البضائع المرهونة عنده: راديو كبير قديم، وبذلة سوداء بحالة جيدة، وغويشة ذهب داخل علبتها القطيفة. وزوجته «سارة» « فوق مقعدها. والولد «سيد» يكنس الدكان استعدادًا لقفله، تقترب «نجوى» من «يعقوب»:

- مساء الخير يا أبي.

يقبلها في حنان واضح، وتبتسم «سارة» لها من بعيد:

- أعجبك الفيلم يا «نجوى»؟

t.me/qurssan

تومئ برأسها، يعرف «يعقوب» وزوجته و«سيد» أيضًا أن «نجوى» تحرص على الذهاب إلى (سينما ركس) كل أربعاء، واتفقت مع مدير محل الأزياء على أن تكون إجازتها يوم الأربعاء على أن تأتي يوم الأحد مع القليل من العاملين، فالمحل لا يغلق طوال الأسبوع.

يقترب «سيد» منها، يسألها:

- هل كان الفيلم مؤثرًا لهذه الدرجة؟!

- بل كان فيلمًا كوميديا.

«يعقوب» ما زال يعيد حساباته ويطمئن على بضائعه المرهونة.

يعرف «سيد» ما بينها وبين «فهمي»، فيقول هامسًا:

- هل أغضبك «فهمي»؟

تنظر إليه في غضب، فقد حذرته كثيرًا من الخوض في هذا الموضوع، لكنَّه مصر على الحديث فيه.

يصيح «يعقوب» في ضيق:

- انتهي يا «سيد» من عملك فقد تأخرنا الليلة.

يضع «سيد» المكنسة في مكانها ويعود قائلًا:

- أنت يا «خواجه» الذي أرجأت غلق الدكان حتى تعود «نجوى» من السينما.

تقف «سارة» مبتسمة بوجهها الجميل الأبيض المتلئ، تسير حتى خارج الدكان، تقف بجوار زوجها و«نجوى»، يتابعون «سيد» وهو يغلق ضلفتي باب الدكان الخشب الملون باللون البني، يضع «سيد» الأقفال الكبيرة في الباب ويضغط عليها بشدة، لكنَّ «يعقوب» يعود ككل مساء لكي يتأكد من غلقها بنفسه، ويسيرون معًا، يعرف «يعقوب» أنَّ «نجوى» تحب الولد

t.me/qurssan

«فهمي» ابن «فردوس» والذي يعمل في (سينما ركس)، الذي يقلق «سارة» أنَّ البنت شديدة التعلق به، تعود بعد كل مقابلة معه مخدرة، ولا تفيق من حالتها هذه إلا في صباح اليوم التالي.

تسرع «نجوى» إلى فراشها، تريد أن تستعيد لحظات السعادة والتلذذ بينها وبين «فهمي»، تصيح «سارة» من مكانها:

– «نجوى»، ألن تتعشي الليلة أيضًا؟

تصيح من فوق فراشها:

– أكلت سندوتشات كثيرة في السينما.

تهمس «سارة» لـ «يعقوب»:

– إنني قلقة على البنت «نجوى».

يزفر في ضيق فقد ملّ حديثها في هذا الموضوع، فيصيح ويعلو صوته غضبا عنه:

- قلت لك ألف مرة، لا أستطيع أخذها معنا لـ (كندا).

تصيح في غضب:

– اخفض صوتك، لا أريد أن تسمعنا.

يتحدث في صوت منخفض:

– يا «سارة»، الحياة في (مصر) أصبحت مستحيلة، شهور قليلة وسيصدرون أمرًا بإغلاق (محلات الروهانتية)، ماذا نعمل هنا؟، نبيع ورق يانصيب؟!

– انتهينا من هذه المشكلة ووافقتك على ترك (مصر)، لكنَّ «نجوى»، ابنتنا.....

صاح وارتفع صوته ثانية غضبًا عنه:

t.me/qurssan

- «نجوى» ليست ابنتنا، أهلها هاجروا (لإسرائيل) وتركوها لنا.

- لقد أخذناها منهم طفلة صغيرة جدًا، كنت أرضعها بنفسي.

- أذكر يا «سارة» وكنت أبحث لها بنفسي عن اللبن الصناعي.

- حاول أهلها استردادها عند سفرهم (لإسرائيل) ، لكنَّ البنت تعلقت بنا ورفضت أن تتركنا، أنتركها الآن؟!

- أرجوكِ؟، الظروف تغيرت، الثورة غيرت كل شيء، ومشاكل «عبد الناصر» مع (إسرائيل) جاءت على رؤوسنا.

صمتت، بكت في صمت، قام وضمها لصدره في حنان:

- أعرف مدى حبك لها، وسأحل المشكلة قبل سفرنا.

- ماذا ستفعل؟

- «نيقولا» يحبها بجنون و.....

صاحت في ثورة:

- «نيقولا» ثانية؟! إنها لا تطيقه، وفي آخر مرة ضربها وكاد يحطم كل شيء بالمنزل، هل نسيت؟!

صمت للحظات، ثم اقترب منها، داعب خدها:

- سأكتب هذه الشَّقة لها لتعيش فيها.

صاحت بصوت مرتفع:

- الشَّقة لن تحل المشكلة، لن اطمئن إلا إذا تزوجت شابًا يغنيها.

شرد بعض الوقت ثم قال:

- «فهمي» لا يصلح لها، عمله في السينما لا يأتي له بالكثير، كما أنَّ عمل على كف عفريت، السينما التي يعمل بها، لا مستقبل لها، لا، لا، «فهمي» لا يصلح لها.

t.me/qurssan

قالت «سارة»:

- إنني مثلك لا أرتاح لهذه العلاقة، فهو شديد الفقر و.....

قاطعها قائلًا:

- نامي يا «سارة»، وقبل سفرنا سنجد الحل.

صاحت في تحد:

- لن أنام قبل أن أطمئن على مستقبل ابنتي.

ربت خدها، «يعقوب» شديد الحب لها، فهو الذي لم يتمكن من الإنجاب، ظنَّ أنها هي السبب، فأخذها إلى أطباء يهود مهرة، يعرفونه جيدًا، كشفوا عليها، فأكَّدوا له بأنَّها أرض خصبة، يمكنها أن تنجب العشرات، لكن أين البذرة التي ستزرع في أرضها؟، صديقه طبيب الأمراض التناسلية قال له:

- لن تنجب يا «يعقوب» أبدًا.

رغم حبها الشديد للأطفال لم تتغير، نامت ليلتها على صدره، ومسحت دموعه بأصابعها، لا، لا يمكن أن يتخلى عنها، أو يغضبها.

قبل أن نبرح (مصر)، سنحل مشاكل كل أحبابنا، تعلمين أن الولد سيد، يعمل معي منذ أن كان طفلًا صغيرًا لذا سأترك الدكان له يحوله لأي تجارة يختارها.

- و «نجوى»؟

أمسك يدها في حنان:

- ماذا لو تزوجت سيد؟

صاحت فزعة:

- كيف، وهي مغرمة بـ «فهمي»؟!

t.me/qurssan

– «نجوى» مشتاقة للرجل، أي رجل، وقبل أن نبرح (مصر) سنجعلها تحبه، ويسكنان شقتنا هذه، ويعملان في الدكان الواسع الكبير.

ooo

فوجئت «نجوى» بحديث «يعقوب» الغريب، أن تتزوج «سيد» – صبيه في الدكان – بكت، ومزقت شعرها، حتى ضمتها «سارة» لصدرها:

– قلبنا عليك يا «نجوى»، «فهمي» لا يحبك، وإنَّما يطمع في الشُّقة والدكان.

– لكنَّني لا أحب «سيد»، لا أحب سوى «فهمي». وقد وعدته بالشَّقة والدكان.

صاح «يعقوب»:

– هذا ما دفعه إليك، لولا الشَّقة والدكان ما سأل عنك، كما أنَّني لن أعطى الدكان لأحد غير «سيد». فهو الأحق. يعمل عندي منذ طفولته. وأعرفه جيداً، سيصونك ويرعاك.

ابتعدت «نجوى»، أغلقت حجرتها عليها وبكت.

رق قلب «سارة»، وكادت تحايل زوجها لكي يسمح لها بالزواج من «فهمي» ويحدث ما يحدث. لكنَّ «يعقوب»، استخرج ورقاً من حقيبته وصاح:

– انتهى الأمر يا «سارة»، الشَّقة لـ«نجوى» والدكان لـ «سيد». وتحدد موعد السفر، وها هي التذاكر، استعدي.

فصمتت، رغم أن قلبها كان يتقطع على «نجوى».

أرسل «يعقوب» لـ «سيد»، قال له أمام «سارة»:

– «سيد»، سأسافر لـ (كندا)، سأفارق (الإسكندرية) التي ولدت وعشت فيها.

t.me/qurssan

- لماذا يا «خواجه»، ابق معنا.

أخرج الورق من الحقيبة:

- خذ يا «سيد» هذه الأوراق، فيها ملكيتك للدكان، أنت أولى به.

لم يصدق «سيد»، صاح:

- لكنَّ «فهمي» صديقي أخبرني أكثر من مرة، أنَّه سيتزوج «نجوى» وستكون الشَّقة والدكان من أجله.

كانت «سارة» تبتسم رغم أساها وخوفها على «نجوى»، قال «يعقوب»:

- «فهمي» يفعل كل هذا من أجل الشَّقة والدكان، لكن أنت مخلص، أنا أعرف الناس، عملي كرهوناتي قديم، جعلني أعرف الصادق من الكاذب.

اقتربت «سارة» منه، ربتت وجهه بحنان:

- «سيد»، أنا ربيتك مثل ابني، تعرف هذا؟

- أعرف يا مدام، وأحبك مثل أمي.

- لذا، أرجوك لا تفرط في «نجوى»، تزوجها يا «سيد»، عش معها في هذه الشَّقة، أنتما أولى بها.

- أتزوجها؟! لكنَّ «فهمي».....

قبلته «سارة» في جبهته وبكت:

- عدني ألا تفرط فيها.

قدَّم «يعقوب» الأوراق لـ «سيد»:

- هذه أوراق الدكان، وأوراق ملكية الشَّقة لـ«نجوى»، هي غاضبة الآن، احتفظ بها معك، وسلمها لها.

خرجت «نجوى» من حجرتها، نظرت إليهم في ضيق واسرعت للشارع، صاحت «سارة» في خوف عليها:

t.me/qurssan

- «نجوى»، أين تذهبين؟

قال «يعقوب»، وهو مازال يمسك أوراق الملكية:

- دعوها، ستذهب لـ«فهمي» لتخبره بما حدث، وهذا ما أريده، «فهمي» لا يريدها هي.

بكت «سارة»، وصاحت في زوجها غاضبة:

- لا تكن بهذه القسوة، البنت قد تقتل نفسها من شدة الأسى.

- ستعود يا «سارة»، اطمئني.

***

تعرف «نجوى» أنَّ «فهمي» في السينما الآن، كان وجهها أحمر، وشعرها مهوش حول وجهها، وآثار البكاء في عينيها، قابلها «فهمي» في مدخل السينما:

- ماذا حدث يا «نجوى»؟

- الحقني يا «فهمي»، يريدون أن يزوجوني «سيد» صديقك؟

- سيد، لماذا «سيد» بالذات؟

- كتبوا له الدكان وكل شيء.

- ماذا تقولين؟

- أبي «يعقوب» سلمه أوراق الملكية أمامي.

- وماذا ستفعلين؟

- لن أتزوج سواك، لا أحب سواك، خذني لبيتكم.

تابعها وهي تبكي في حرقة، فأعاد عليها السؤال:

- ظننتهما سيعطوننا الدكان والشَّقة.

- لا تهتم بهما، فأنا أعمل وأنت تعمل، ونستطيع الحياة بدونهما.

t.me/qurssan

- ظننتهما سيتركان لك مبلغًا كبيرًا من المال مع الشَّقة والدكان.
- دعك من كل هذا، وهيا بنا لشقتكم لنتزوج فيها.
- لا، عودي إليهم، وسنتدبر الأمر بعد أن يسافرا.

°°°

عاد «فهمي» منهارًا، لقد خذله الخواجه «يعقوب» وكتب الدكان لـ «سيد» صبيه، والشَّقة أيضًا، ظنَّه سيستجيب لرغبة «نجوى» ويعطيها كل شيء.

قالت «فردوس» :

- طمعنجي بنى له بيت، فلسنجي سكن له فيه.

ضاق «فهمي» بحديث أمه، وقالت «إخلاص» في أسى:

- يا فرحة ما تمت.

°°°

الولد «فهمي» حزين، فقد وافقت «نجوى» أخيرًا على الزواج من «سيد» ورث الولد دكان الرهوناتي وشقته، نسيت «نجوى» «فهمي»، تسير الآن متعلقة بذراع «سيد»، تتشبث بذراعه بشبق، كما كانت تفعل مع «فهمي».

يبيع «سيد» محتويات الدكان، قطعة قطعة: راديو كبير قديم موجود في الدكان منذ أن عمل «سيد» في صغره لدى الخواجة «يعقوب». ولم يأت أحد للمطالبة به، وذهب كثير لا يدري أين ذهب أصحابه، وجرامفون يعمل للآن. ويسمع «سيد» عليه الاسطوانات من وقت لآخر، الخواجة «يعقوب» كان يسجل كل شيء في دفاتره، لكنَّ «سيد» ليس عنده قلب لهذا، سيبيع كل هذه الأشياء، ويحول الدكان الكبير إلى مطعم سمك

t.me/qurssan

بدورين، سيكون أكبر وأهم مطعم سمك بك يا (إسكندرية)، هكذا اتفق مع «نجوى» ووافقت، قالت:

- سأترك العمل في محلات الأزياء واتفرغ لك.

يسير «سيد» في الحي مزهوًا بنفسه، هو غير مصدق، أيحدث كل هذا فجأة، دكان كبير وفي شارع الباشا الكبير، وشقَّة تمليك، وفتاة جميلة تحبه، ينظر «فهمي» إليه في ضيق، لا لم يعد صديقه، «فهمي» هو الذي بدأ، صاح فيه أمام كل رواد المقهى:

- أخذت «نجوى» مني؟!

لم يجبه، فقام «فهمي» محاولًا ضربه، لكنَّ «سيد» تصدى له وصاح:

- «نجوى» أمامك، روح خذها لو وافقتك.

يعرف «سيد» أنَّه لم يكن يريد «نجوى»، وإنما يريد الدكان والشُقة.

t.me/qurssan

(٥)

يعود «حسن» ليلًا، يفتح الباب بمفتاحه، دقائق ويسمع آذان الفجر في المسجد القريب.

يغلق «متولي» – معلمه – دكانه المواجه لـ (سينما رأس التين) بعد الثانية عشرة بقليل، لكنَّ «حسن» لا يعود للبيت، يذهب لقهوة «خبيني» وهي بلا أبواب، مكان الباب مغطى بقماش شادر قديم ومتهالك، مفتوحة طوال الليل والنهار، يأتيها الذين لا يجدون مأوى، يجلسون على المقاعد حتى الصباح.

لقد حشَّش «حسن» حتى كاد يغمى عليه، صاح في أصحابه:

– لو أخذت أكثر من هذا، سأموت.

وتركهم وأسرع إلى الطريق وسط أصواتهم التي تناديه، وتتهمه بالضعف والتخاذل وعدم القدرة على تحمل الحشيش.

أخذ يبحث في المطبخ عن شيء يأكله، منذ أن جاءت «إخلاص» بولديها والشَّقة ازدادت ازدحامًا، إنَّه لم يسمع كل حكايتها مع زوجها الذي سممته.

أخذ يأكل وهو ذاهب لمكان نومه، فوجد «إخلاص» أمامه:

– حسن، لماذا عدت الليلة مبكرًا؟

لم يجبها، وأكمل أكله، صاحت:

– انتظر.

وعادت بصينية فيها طعام وحلوى:

t.me/qurssan

- خذ.

اندهش مما يرى، صاح:

- هل أعادك زوجك إليكِ؟

قالت في لا مبالاة:

- لا.

- من أين جئتِ بكل هذا الطعام؟

- كل واسكت.

ثم عادت للنوم بجوار سرير «خيرية» و«صبرية».

لم يكمل «حسن» الأكل، في الصباح وجدوا الصينية فوق صدره، وبقايا الطعام، بعضه خارج فمه، قالت «خيرية» لـ«إخلاص»:

- أموت وأعرف من أين تأتي بكل هذه الأموال؟

قالت وهي تضع الكتب في الشبكة:

- البسي وخليكي في حالك.

- نفسي أعرف حكاية كتب الكليات هذه.

قالت «صبرية»:

- دعوها تفعل ما تريد.

قالت «خيرية»:

- أنت تقرأين الحروف بصعوبة.

- لا شأن لك.

- لو صدق ظنّي، تبقى مصيبة، وربنا يستر.

صاحت «إخلاص» في صدق شديد:

- ربنا يستر.

t.me/qurssan

خرجت الأم بعد خروج البنات الثلاثة، و«فهمي» خرج قبلهم، وظلَّ «حسن» نائمًا في سريره.

وقف «متولي» أمام النافذة ينادي ككل يوم:

- يا «حسن» يا «حسن».

نظرت وجوه كثيرة تتابع ما يحدث، قالت واحدة - اعتادت على رؤية «متولي» ينادي هكذا كل صباح -:

- النداء لا ينفع معه، لا بد من دقِّ الباب عليه.

تابعها «متولي» في ضيق، ودخل البيت، صعد درجات السلم، ودق الباب في عنف، حتى فتح «حسن» وهو يداعب عينيه، صاح «متولي»:

- كل يوم هكذا، ضقت بك.

- تفضل يا معلمي.

عاد الرجل لدرجات السلم:

- سأنتظرك في الدكان، لا تتأخر.

متولي - معلمه - كعملاق، وجهه ممتلئ، وجسده عريض، وطوله باسق، الرجل دوغري، لا يعرف العوج. كلمته واحدة، لا يخدع الزبون، وعندما يسمع الآذان في المسجد المجاور، يقوم مسرعًا، يتوضأ ويستعد للصلاة، وتعلم «حسن» هذا منه.

يذكر «حسن» جيدًا يوم أن جاءت «سميرة» لتتفق على تفصيل حذاء، كانت طويلة، ووجهها طويل أيضًا، ونظارة مقعرة فوق أنفها الطويل، كان «حسن» صغيرًا وقتها، لكنَّه فهم مقصدها من معلمه، قالت:

- أنا مُدرسة بمدرسة «الشيخ علي أبو عكاز» القريبة من الدكان.

t.me/qurssan

ترك «حسن» الحذاء الذي يلمّعه، وتابع حديثها وتصرفاتها، فدفعه «متولي» بيده القوية في صدره صائحًا:

- خليك في شغلك.

تكرر حضورها للدكان بسبب وبدون سبب، و«متولي» يزداد في الاهتمام بها، تأتي أحيانًا لتقديم أطباق صنعتها من أجل معلمه، يلومها «متولي» على ذلك، وعندما تذهب لبيتها، يسرع برفع الغطاء عن الأطباق ويأكل هو و«حسن» متلذذًا، ويصيح:

- ست بيت ممتازة.

وانتهى الأمر بالزواج، أسكنها معلمه في الشارع الكبير المواجه للدكان، بيت مواجه للحارة، على ناصية الحارة بيت كبير وعالٍ.

«متولي» مطمئن، فليس في مواجهة شقّته سوى الحارة، فيضاجعها والنافذة مفتوحة، فلا يمكن للمار في الحارة أن تصل عينيه لنافذة شقته العالية.

تصنع «سميرة» الأعاجيب، تخرج أصواتًا يسمعها جيرانها في البيت، اندهشوا - أول الأمر - ظنوا أن غريبًا جاء بامرأة وانفرد بها على سلالم البيت، فخرج أحد السكان بشومة ليطاردهما، لكنّه وجد الصوت آتيًا من شقة «متولي» وقالت زوجة الرجل وهي تبتسم في حياء:

- كل نساء البيت يعرفن ما تفعل ويخجلن من ذكره لأزواجهن.

وعرف الجميع ما تفعله «سميرة»، شاع هذا في الحي كله، لدرجة أنهم اطلقوا على «متولي»: «زوج المرأة التي تصرخ وقت .....» مما أغرى شباب الحارة لأن يصعدوا في أعلى البيت الكبير، على الناصية، ويشاهدوا ما يحدث في حجرة النوم.

t.me/qurssan

هذه المعلومات وصلت لعلم «حسن»، فغضب من أجل معلمه، فهو لا يستحق ما جرى له، وسمع «حسن» معلمه يشكو لصديقه عن معاناته مع زوجته، قال هامسًا - لكنَّ «حسن» سمعه -:

- تعبت، تتعامل معي وكأنني ثور، لا رجل.

تظاهر «حسن» بأنَّه لا يفهم شيئًا مما يدور في الحديث، وانهمك في شد خيط الحذاء.

وتدهورت صحة «متولي»، يسعل، وينام في البيت لعدة أيام، ثم احتجزوه في (مستشفى رأس التين) القريبة من البيت ومن الدكان.

* * *

تسير «سميرة» من بيتها حتى مدرسة «الشيخ علي أبو عكاز» القريبة، تتابعها عيون الرجال والنساء، يتهامسن وهي تسير، تداعب نظارتها السوداء بإصبعها من وقت لآخر، تصل لمقر المدرسة، بيت صغير، فيه حوش رملي ليلعب الأطفال فيه. الأطفال يتزاحمون في دخلة المدرسة، و «الشيخ علي» - ناظر المدرسة وصاحبها - يتحرك بعكازه، في خفة، رغم إعاقته تجده في كل فصول المدرسة، وفي كل ركن فيها.

تدخل «سميرة» حجرة الناظر، تجد بعض المدرسين والمدرسات يجلسون حول مكتبه الشاغر.

يرحبون بها، وقبل أن تأتي كانوا يتحدثون عنها، لقد أمرضت زوجها الذي كان أقوى من الثور، وأودعته المستشفى الآن، تقول مُدرسة:

- أصلها عندها - والعياذ بالله - مرض السودا.

بعض المدرسات لا يعرفن ما هو مرض السودا، وحتى من يعرف من الرجال، يتظاهر بعدم المعرفة لكي تحكي المُدرسة عن هذا المرض وأسبابه وأعراضه، وعلاجه.

t.me/qurssan

قالت المُدرسة:

– الواحدة فيه كالعلقة، لا تترك الرجل حتى تقضي عليه.

يأتي الشيخ «علي أبو عكاز»، يبتسم عندما يرى «سميرة»، فهو يسعد لوجودها، ويسعد لحديثها، وهي تعرف هذا، ولا تدري كيف تتخلص منه، العمل في المدرسة يأتيها بمبلغ يعينها، خاصة أن مرض زوجها أثر على دخل الدكان، والولد حسن، ما صدّق أن مرض معلمه، ولم يعد يهتم بالعمل، يفتح متأخرًا، ويغلق الدكان قبل العاشرة، يذهب لأصحابه في قهوة «خبيني».

«الشيخ علي» ما يصدّق يجدها بمفردها في حجرته، ويسبّل لها عينيه، ويحدّثها عن متاعبه مع زوجته، التي لا تقدّر رجولته وخبرته وقدراته الرائعة التي لا يفعلها شاب قوي.

«سميرة» لا تحمل سوى شهادة الإعدادية. ويردد البعض إنّها حتى لم تحصل عليها، ومعظم مدرسي ومدرسات المدرسة مثلها، وصاحبها – الشيخ علي أبو عكاز – لا تهمه هذه المسألة في شيء، المهم أن يعرف المدرس أو المدرسة القراءة والكتابة، ويعلمها للأطفال، كما أنهم يتلقون مرتبات هزيلة منه.

أين تذهب «سميرة» الكل يطاردها، رجال الحي الذي تسكنه، ومدرسو المدرسة يزعمون إنّها شبقة ولا تشبع ولا ترتوي ويرجعون مرض زوجها بسبب رغبتها الزائدة، جميعهم كاذبون، فزوجها مريض من قبل أن تتزوجه، فلا يغرنكم طوله وعرضه.

عملت «سميرة» من قبل في المدرسة المواجهة – مدرسة الشيخ علي أبو عكازين – مبنى عالٍ وواسع، وفيه الكثير جدًا من التلاميذ.

t.me/qurssan

صاحب المدرسة وناظرها لا يستطيع التنقل إلا إذا اعتمد على عكازين تحت إبطيه، رغم هذا، اقترب منها، وأخذ يذكر محاسنها، ووعدها بأن يرفع مرتبها، لكن تنظر إليه بعين العطف والرأفة، لا، الرجل تجرأ ومد يده نحو جسدها، فصرخت فيه، وسبته، وهدَّدته بإبلاغ زوجتيه، ثم تركت له المدرسة، وتعاقدت مع غريمه «الشيخ على أبو عكاز».

(فالشيخان علي أبو عكاز، وعلي أبو عكازين، دائما الشجار والخلاف، يتبادلان الاتهامات: «أنت تأخذ تلاميذ من عندي، أو تأخذ مدرسيني» – وكلاهما يتحدث عن الآخر في غيابه، حديثا مشينًا).

الإشاعة التي خرجت واتهمت «سميرة» بالشبق وعدم الارتواء جملت صورتها، وجعلتها مرغوبة لكثير من رجال الحي.

ماذا ستفعل لو زودها الشيخ «على أبو عكاز» هو الآخر؟، هل ستسبه وتلعنه مثل غريمه الآخر؟، ووقتها ماذا ستفعل، هل تبقى في البيت، تنتظر زوجها الذي أصبح زائرًا مستديمًا لمستشفى الأوقاف؟!

قال الشيخ «علي أبو عكاز» بعد أن بقيت في حجرته وحدها:

– لا تظنيني عاجزًا لاستخدامي هذا العكاز، فأنا قادر على فعل الشيء من غيره.

أدركت مقصده، لكنَّها تظاهرت بعدم الفهم. فأكمل:

– أقصد المشي طبعًا.

لم تستطع كتم ضحكتها، فالرجل يأتي أمورًا تضحك، قال:

– أنتِ أقرب مخلوق لقلبي، أقصد أقرب مخلوق لي في المدرسة، وسوف أرفع مرتبك، وسأجعلك وكيلة المدرسة.

قالت وهي تداعب شبشبها بأصابع قدميها:

t.me/qurssan

- والثمن يا «شيخ علي»؟

- ليس هناك ثمنًا، مجرد تقدير وإعجاب.

وعندما أحسَّ بأنَّها قد تزداد حدة غضبها، أسرع قائلًا:

- كيف حال الأسطى «متولي»؟

وهي ما صدَقت، أنَّ الموضوع تغير وابتعد عن الطريق الشائك المخيف، فأجابت بجدية شديدة:

- بخير، وقد يعود للبيت باكرًا أو بعد باكر.

٠٠٠

قبل أن تذهب «سميرة» إلى البيت، مرت على الدَكان، كان «حسن» يجلس في الصدارة مكان زوجها، يتعاقد على تفصيل الأحذية، ويتلقى النقود التي يعطيها لها آخر الليل، صاح بأدب:

- تفضلي يا أستاذة.

جلست في مكانها الذي كانت تجلس فيه قبل أن يوافق «متولي» على الزواج منها، سألت نفسها: هل وصل «حسن» ما يحكونه عنها من شبق وعدم ارتواء، ورغبة زائدة كانت سببًا في مرض زوجها؟!

قالت في جدية شديدة:

- ما أخبار الدكان يا «حسن»؟

- خير، أنا أيضًا لي زبائني، كانوا يأتون من أجلي، حتى في وجود المعلم.

- أعرف يا حسن، أنا يعجبني شغلك، وأريدك أن تصنع لي حذاءً.

- أمرك.

t.me/qurssan

خلعت شبشبها، ورفعت قدمها لأعلى، فأمسك دفترًا عريضًا ورسم صورة القدم عليه، تابعته باهتمام شديد، تمنت لو لمس حافة القدم، أو شد أصابعها مداعبًا، لكنَّه لم يفعل.

- متى سألبس أول حذاء من يديك؟

- سأبدأ فيه حالًا.

وقفت في تكاسل شديد، فردت ذراعيها في دلال، تأوهت من التعب والإرهاق:

- تعبت يا «حسن»، المدرسة، ثم تحضير الطعام لعلمك، والذهاب إليه في المستشفى.

- كان الله في العون.

- لذا أريدك أن تأتيني بالنقود بعد غلق الدكان.

وقف ليحيِّيها وهو حائر، لماذا الذهاب إليها في البيت، وفي غياب المعلم؟ النقود يمكن أن تنتظر حتى الصباح، أو حتى عندما تأتي إليه غدا بعد خروجها من المدرسة.

٥٥٥

ذهاب «حسن» لبيت معلمه في غيابه كان البداية، استقبلته «سميرة» بقامتها الطويلة، كانت ترتدي ملابسًا عجيبة وغريبة، وتصبغ وجهها بألوان لم يرها «حسن» على امرأة من قبل، وضع النقود على المائدة القصيرة، فلم تنظر إليها، نظرت إليه هو، الشَّقة خالية إلا منه ومنها- ربنا ستر - فهي لم تنجب لكي تتفرغ للمدرسة ولبيتها، وحاجة زوجها المريض كثير التردد على المستشفيات.

- عدِّي النقود، هاهي أمامك.

t.me/qurssan

ما زالت تتابعه، أمسكت يده، وقالت:

- سأعد أصابعك.

أراد أن يخلع أصابعه من يدها، لكنَّها تشبثت بها أكثر، كأنها كماشة:

- لن أتركك.

شد يده، خلع أصابعه، أحس بألم فيها، لكنَّه لم يستطع الخروج من الشَّقة، لا تستطيع الإفلات من نمر جائع وامرأة عاطفية.

ظل «حسن» معها لقرب الفجر، كان أول يوم يتأخر فيه هكذا.

وبات معروفًا في الحي أن «حسن» يساعد معلمه في دكان الأحذية، وأيضًا في راحة زوجته، تغيَّر حسن، نصحه أصدقاؤه بأن التعامل مع النساء له أساسيات ومنهج لا تستطيع الحياد عنه، وهو الحشيش والمقويات الجنسية.

دكان الأحذية أحس بالتعب، فصاحبه ومساعده يعانيان من نفس الداء، فقلت الزبائن، وقل الدخل. وتذمرت «سميرة» فهي لا تجد ما تريد من الاثنين، لا مال ولا راحة بال.

ooo

كانت «خيرية» وحدها المستيقظة، فـ «صبرية» نائمة في عز نومها، تحلم وقد أصبحت راقصة مشهورة. وفجأة دقَّ الباب في عنف. أسرعت «خيرية»، وتبعتها الأم في خوف:

- ربنا يستر.

فتحت «خيرية» الباب، وجدت «حسن» أخوها مغمى عليه ومحمول على الأعناق.

صاحت الأم في هلع:

t.me/qurssan

- ماذا حدث له؟

قال أحدهم:

- وقع في الشارع وأغمى عليه.

صاحت الأم في ابنها «فهمي» النائم:

- الحق يا «فهمي» أخيك.

حملوه وذهبوا به لمستشفى الأوقاف، فحصه الأطباء، فوجدوا قلبه ضعيفًا من المخدرات والمقويات الجنسية التي اعتادها.

صاحت «خيرية»:

- هذا ما كنت أخشاه، «سميرة» أضاعت زوجها، والدور على أخينا «حسن»، والله لأضربنها في الحارة وأفضحنها.

تركوا «حسن» في المستشفى يتلقى العلاج، وعادوا، صاحت «خيرية» أمام بيت «سميرة»:

- انزلي يا «سميرة»، يا قاتلة الرجال، زوجك أمرضته، وستقتلين «حسن» أخي.

نظر «متولي» من النافذة وصاح:

- عيب يا «خيرية»، عيب.

أكملت «صبرية»:

- العيب ما فعلته زوجتك في أخي «حسن».

أبعدت «سميرة» زوجها وصاحت فيهن:

- ما شأني بـ «حسن» هو مريض من الأول.

قالت «خيرية»:

- لا، كان يخرج من شقتك في الفجر، كل ليلة.

t.me/qurssan

وأكملت «صبرية»:

- انزلي يا «سميرة» لنتفاهم.

قال «متولي» لزوجته:

- لا تنزلي فسوف يضربانك.

- سأنزل واقنعهما بأن ما يقال عن علاقتي بـ «حسن»، كذب فهو مثل ابني.

نزلت «سميرة»، خرجت من باب البيت، مدت ذراعها إلى «خيرية» و«صبرية»:

- صدقاني لا شأن لي بما حدث لأخيكما.

شدَّتها «خيرية» من باب البيت إلى منتصف الحارة، وضربتها في كل مكان بجسدها، شدَّت «صبرية» شعرها وهي تصيح:

- اشهدوا يا ناس «سميرة» كانت السبب في مرض أخي، ولو مات ستكون هي السبب.

أسرع البعض لتخليص شعر «سميرة» من يد «صبرية»، وأبعدوا «خيرية» عنها، وأدخلوا «سميرة» بيتها، فصاح «متولي» فيها:

- قلت لك لا تنزلي.

t.me/qurssan

(٦)

تذهب «فردوس» إلى فيلا قريبة من (قصر رأس التين) في مواجهة موقف ترام (٦) التي تبدأ من هنا، وتنتهي في آخر (شارع عرفان بمحرم بك)، على (ترعة المحمودية).

تدقُّ جرس الباب فلا يجيبها أحد، تقف لحظات ثم تعاود دقَّ الجرس ثانية. يفتح «كمال» الباب، يشير إليها بأن تدخل:

- تفضلي يا «أم حسن».

تسير في الفيلا الواسعة، تعرف كل شيء فيها، تعمل فيها منذ سنوات طويلة، أيام كانت «غالية» - أم «كمال» - على قيد الحياة. زوجها «أنور» يغيب كثيرًا عن البيت، فهو طبّاخ «مكرم عبيد» - السياسي الوفدي المعروف - يسافر إلى (القاهرة)، ويعود (للإسكندرية) كل خميس، يقضي الساعات الباقية من الخميس، والجمعة كله، في البيت، ويصحو فجر السبت ليركب قطار الصحافة ليلحق بـ «مكرم عبيد» قبل أن يستيقظ من نومه.

كل أعمال البيت تقوم بها «فردوس»، بينما «غالية» الجميلة، التي تميل للإمتلاء، تقضي وقتها في الاهتمام بزينتها، تصبغ شعرها القصير باللون الأصفر، وتقضي وقتًا طويلًا أمام المرآة، تفعل هذا في كل وقت حتى في الأيام التي يقضيها زوجها في (القاهرة) ويغيب أحيانًا بالشهر والاثنين، يسافر مع «مكرم عبيد» خارج مصر.

t.me/qurssan

زوجها هادئ، قلما تسمع «فردوس» صوته، لكن كثيرًا ما سمعت صوت «غالية» وهي تصرخ فيه وتعنفه، وهو يرد عليها بهدوء قاتل وابتسامة، ولا يناديها إلا بكلمة «يا «غالية».

يكسب «أنور» كثيرًا، فـ «مكرم عبيد» يدفع له بسخاء، والأموال يضعها كلها في حِجْر «غالية»، ولا يسألها عنها.

وجاء الولد «كمال» حملته «فردوس» صغيرًا، والده مشغول مع «مكرم عبيد» في (القاهرة) وسفرياته الكثيرة خارج البلاد، الرجل لا يستطيع أن يأكل طعامًا إلا من صنعه، و«غالية» لم تتغير، أنزلت الطفل من أحشائها وتركته لـ«فردوس»، وعادت لزينتها التي لا تنتهي.

زيادة الوزن سببت مشاكل صحية لـ «أنور» ففكر في أن يطلب من «مكرم عبيد» أن يعفيه من عمله، لكنّ «غالية» صرخت فيه قائلة:

- تترك العمل الذي نعيش منه؟!

قال بهدوئه القاتل:

- خير ربنا كتير يا «غالية» الأموال التي تركتها لك كثيرة جدا.

لم تصرخ فيه هذه المرة، أجابته في هدوء وابتسام:

- لم تتبق نقود.

دهش الرجل وصاح:

- لقد أعطيتك أموالا تشتري البحر المالح، أين ضيعتها؟!

تعمدت ألا تثور كعادتها:

- على بيتك وعلى ابنك.

- «غالية»، أحضري المال يا «غالية».

صرخت فيه هذه المرة:

t.me/qurssan

- ليس لدي مال، أنفقته على بيتك وابنك.

قام وأمسكها من معصمها ورماها على الأرض، فصرخت وأرسلت في طلب إخوتها الذين حايلوا الرجل وعنفوها، قال أحدهم له:

- زوجتك اشترت بيوتًا كثيرة في أحياء (الإسكندرية) المتعددة.

هدأ الرجل، وجلس يلهث، ظنًها اشترت البيوت باسمه، وعندما عرف الحقيقة، صرخ وارتمى على الأرض حتى حمله إخوتها، وضعوه فوق سريره. ولم تمر أيام قليلة حتى مات.

***

يعود «كمال» في طريقه إلى الفيلا، عندما أخرج مفتاحه من جيبه أحس بالأسى، فسيدخل سجنه الاختياري ويقبع فيه حتى الصباح.

عندما مات أبوه فجأة، كان في الخامسة، لكنَّه يذكر جيدًا ما حدث، عادت أمه إلى زينتها واكتشف المخبوء، فقد اشترت بيوتًا كثيرة، في (المندرة) - قريبا من البحر-وبيتًا في (شارع أبي الدرداء) فيه محلات مؤجرة لبيع قطع الغيار، وبيتًا كبيرًا في (محرم بك) قريبًا من (ترعة المحمودية) لماذا لم تعط والده حقَّه؟!

كانت تأخذه وهو صغير وتسير به حتى محطة الأتوبيس الذي يوصلهما (للمندرة) لتحصِّل إيجار شققها، ثم (شارع أبي الدرداء) لتحصِّل أجرة الشقق والدكاكين، تقف طويلًا في الشارع لتحدِّث صاحب أحد المحلات، تمازحه ويمازحها، كان أقل منها عمرًا بشكل واضح، وفجأة تزوجته، لم يرتح «كمال» له، وأظهر الرجل مدى كرهه له من أول يوم في الزواج، يرسله لشراء أشياء ليخلو له البيت مع أمه، سمعه بوضوح يقول لها:

- ابنك مزنق عليه.

t.me/qurssan

- يعني أطرده، لا تنس أنَّك تعيش من خير والده.

سعى الرجل لأن يشغله حتى يبعده عن البيت، عمل صبي كواء، يحمل الملابس النظيفة المكواة فوق قطعة مستطيلة من الخشب الأبلكاش، لكنه يسرح وهو سائر، ثم يشرد، فلا تصل الملابس لأصحابها، يضع الخشبة الأبلكاش بجوار الحائط والملابس فوقها، يشارك الأطفال - أقرانه - في لعب الكرة، ويدور صاحب الدكان الشوارع والأزقة باحثًا عنه، ويضربه بعنف، ثم يعيده لأمه راجيًا ألا ترسله إليه ثانية، فيكفي النقود الكثيرة التي دفعها تعويضًا للملابس التي يفسدها.

وعمل صبي حلَّاق، فترك الدكان خاويًا ودخل (سينما الأنفوشي)، حتى سرق اللصوص عدة الحلاقة ومحتويات الدكان، فقرر الزوج الخلاص منه نهائيًا، فقدَّم أوراقه لـ «الفاروقية» التي لا تقبل إلا الأطفال اليتامى- كما اشترط الملك فاروق لمدرسته التي تحمل اسمه -وهو مناسب تمامًا لها، فهو يتيم.

قاسى «كمال» أول الأمر، فلم يتعود البعد عن أمه، وبمرور الوقت ارتاح للمكان وألفه، كان يغني بصوت مرتفع فوق سريره العالي، ويرد زملاؤه عليه، فألحقه شاويشه بالمسرح العسكري، هناك وجد ضالته.

في إجازاته من البحرية، يذهب إلى شقق أمه المتعددة، شقَّة في شارع التتويج، وأخرى في (المنشية) يشرف عليها ريجيسير اسمه « الحبشي السينمائي»، مكتبه قريب من البيت الذي تقع فيه الشُّقة، يأتي بممثلين وممثلات، يشتركون في العمل بالأفلام التي تصور في (الإسكندرية)، يدفع المنتِج - أحيانًا - قيمة الإيجار، أو يخصمها من أجور الممثلين والممثلات.

t.me/qurssan

يسعد «كمال» لهذا، يرى نسوة سبق أن رآهنَّ من قبل يمثلن في الأفلام، يراهنَّ عرايا، يتنقلن من حجرة لأخرى دون ملابس أحيانا، وعندما تضيق شقّة (المنشية) بهم، يرسلهم «حبشي السينمائي» لشقق (بحري) و (المندرة) و (محرم بك) و (أبي الدرداء).

يقضي «كمال» إجازاته من البحرية في هذه الشقق، بعيدًا عن أمه وزوجها الذي لا يحبه، يجلس في الصالة على المكتب، يقدِّم خدماته للزبائن، من يريد طعامًا أو صابونة، أو غطاءً، أو وسادة.

اعتادوا وجوده بينهم، تداعبه النساء، ما زال يذكر وجوههن، فيتنهد في أسى، أشقى نساء قابلهنَّ في حياته، يحلمن بالشهرة، وأن يتحولن لنجمات مثل «فاتن حمامة» و«ماجدة» و«ليلى مراد»، فكل نجمات السينما بدأن هكذا يسمع حكايات النجوم القديمة، التي يحكيها «الحبشي السينمائي» ويدّعي أنَه سبب شهرة كل نجمات السينما.

حكايات «الحبشي السينمائي» عن نجوم السينما:

١ - يزعم أنَه سبب شهرة «هدى يسري»، فقد ظهرت في أغنية «اتمخطرى يا خيل» لمدة دقيقتين كومبارس تركب حصانًا خلف «ليلى مراد» في فيلم «غزل البنات» عام ١٩٤٩ وقامت بأدوار صغيرة جدًا في عدة أفلام.

يعجب بها المخرج «حسنين منصور»، تصادقه، يعدها بالبطولة، وتحمل منه لكنَّه يتخلى عنها، تلد ابنتها، الكل يعرف أنَها ابنته، وهو رافض الاعتراف بذلك.

تذهب بابنتها للنقابة لتشكوه، فلا تجد صدى، ولا تجد مسكنًا للإقامة، خاصة أنها منذ أن أنجبت ابنتها لم يعطوها دورًا في السينما

t.me/qurssan

ولو صغيرًا، وهي ليست من (القاهرة)، هي من حي (الأزاريطة) في (الإسكندرية) هناك يقابلها الريجسير - الحبشي السينمائي - يهمس في أذن «أحمد علام» - نقيب المثلين وقتذاك - بأن يسمح لها بالمبيت في النقابة، فيسمح «أحمد علام» بذلك.

ويذهب «الحبشي السينمائي» أيضًا لـ«حسن الإمام» يحكي له عن حالها، فيسند إليها دورًا في فيلم أحد أفلامه، بعدها أصبحت «هدى يسري» ملكة الإغراء.

٢ - «زوزو نبيل» كانت مطلقة ومعها ابن اسمه «نبيل»، سكنت حي شبرا، وفي الشقة المجاورة لشقتها كان يسكن قبلها، مأمور قسم (عابدين) فتذهب كل ليلة للعمل بالمسرح الذي يقع في دائرة عمله، فيأتي الرجل بسيارة الشرطة قبل انتهاء العرض المسرحي بقليل، وينتظرها، يركبها بجواره ويوصلها لشقتها، ويلوح لها مبتسمًا ثم يدخل شقته المجاورة.

أحست «زوزو» بأنها تحب المأمور، وهو أحس بحاجته إليها، لكنه لم يقدر على التصرف، فتصرفت هي، ذهبت لزيارة زوجته في غيابه، وصارحتها:

- أنا معجبة بزوجك، وهو معجب بي.

قامت الزوجة غاضبة:

- ماذا تقولين؟!

ربتت «زوزو» صدر المرأة الغاضبة:

- اجلسي يا «كوكب» لنتفاهم.

جلست «كوكب» وهي ما زالت تزفر من الغضب، فأكملت «زوزو»: ما تيجي نقسمه نصفين.

t.me/qurssan

فقامت المرأة ثانية وقالت: أكيد أنت تمزحين.

شدتها «زوزو» وأجلستها: لا أمزح، اسمحي له بأن يتزوجني، ونهدم الحائط الفاصل بين الشقتين ونعيش معا في شقة واحدة.

الغريب أن الزوجة وافقت، وعاشوا معًا. وماتت «كوكب» زوجة المأمور الأولى قبل «زوزو»، فأكملت هي تربية أولاد ضرتها.

٣ - عدد كبير من نجوم السينما كانوا يسكنون عمارة (الإيموبيليا) «يوسف وهبي» و«أحمد سالم» والمغني المشهور وغيرهم. وارتبط أحد الممثلين المعروفين بالفنان «يوسف وهبي»، يزوره في شقته كثيرًا، يتحدثان معًا.

رأي هذا الممثل ورقة تحليل على (الكومدينو)، فسأل «يوسف وهبي»:

- ما هذا؟

- تحليل أجريته وأكد لي أني لا يمكن أن أنجب.

فقال الممثل المعروف:

- وأنا سأجري تحليلًا، فقد تزوجت أكثر من مرة ولم أنجب أيضًا،

وبالفعل أجرى التحليل، فأكد له أنَّه لا يمكن أن ينجب، لكن بعد أقل من عام حملت زوجته، فضربها بعنف. وهدَّدها بالقتل إن لم تخبره بالذي خانته معه. فاضطرت أن تعترف له، قالت: إنَّه المغني المشهور، فهاجمه، لكنَّ المغني المشهور أغلق شقَّته عليه وتوارى خائفًا، وتجمع سكان العمارة الكبيرة، قال أحدهم:

- ابحثوا عن «يوسف وهبي» صديقه، فهو الوحيد الذي يمكن أن يؤثر عليه.

وجاء «يوسف وهبي»، أخذه لشقَّته، وقال له بهدوء:

t.me/qurssan

- ما بينك وبينها الأفلام المشتركة بينكما، انتهي منها أولًا، وكلًا منكما يروح لحاله.

واستجاب الممثل المعروف وطلقها، كما أن ضربه العنيف لها أتعبها فاستدعوا الإسعاف وأجروا لها عملية مستعجلة أدت لسقوط الجنين.

تقول النسوة لـ «كمال» بعيدًا عن الحبشي السينمائي وبصوت خافت حتى لا يسمعهن:

- لا تصدقه، فكل ما يقوله كذب، فهو يزعم أنَّه سبب نجاح كل ممثلي وممثلات السينما.

وقالت أخرى وهي تضحك، لو سألته عن أي ممثل أو ممثلة، سيقول لك أنَّه هو الذي قدمه للتمثيل.

***

طورت أم «كمال» عملها، استأجرت شققًا في (القاهرة) فالعمل مع الممثلين والممثلات يأتي بعائد أكبر، وعندما مات الزوج، تكالبت الأمراض عليها، فأصبح «كمال» هو المسيطر على كل شيء، شهور قليلة وتبعت أمه زوجها، وورث «كمال» الشقق وعمل أمه مع الممثلين والممثلات.

***

تعرف «فردوس» أنَّ «كمال» دائم الشرود. ومسحة الأسى على وجهه لا تفارقه، لا، هي لا تريد أن تزيد من أساه وتحكي له عمَّا تعانيه من بناتها وولديها.

- مالك يا «أم حسن» أراكِ اليوم أكثر تعاسة؟!

تأوهت في أسى:

- محدش خالي.

t.me/qurssan

- مشاكل أبنائك؟

- الهم زاد يا أستاذ «كمال»، البنت الكبيرة زوجها طلقها من شدة غيرتها عليه، والولد الكبير صاحب زوجة معلمه ومرمي الآن في المستشفى بين الحياة والموت.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- أنا مصابة في كل أبنائي، بنات وبنين.

- رأيت ابنتك «خيرية»، شكلها جميل و....

قاطعته قائلة: كلهم مشاكل، وزادت وغطت البنت الصغيرة «صبرية»، ليل نهار ترقص.

ضحك قائلًا:

- الرقص فن يا «أم حسن».

- البنت ترقص في الأفراح وترقص دون سبب.

ضحك أكثر وقال:

- ليتك تحضرينها معك في الغد لأراها.

***

جاءت «فردوس» في اليوم التالي بابنتها «صبرية»، لم توضح لها سبب الزيارة، لم تكن البنت سعيدة، ظنتها تريد أن تساعدها في العمل بالفيلا، فقد فعلت معها هذا كثيرًا.

هكذا هي أمها، لا تقدر إلا عليها، لا تستطيع أن تطلب هذا من «إخلاص» أو «خيرية»، تخافهما، لكن أنا الحيطة المايلة.

دقَّت «فردوس» الباب وهي تعلم أنَّ «كمال» في سابع نومة، فقد جاءته في الصباح الباكر، تعرف أنَّه سيغضب لهذا، لكن ما باليد حيلة، فلا بد

t.me/qurssan

أنَّ تلحق ابنتها بعملها في محل بيع حقائب السيدات، فالأسرة ليست في حاجة لخصومات ونقص موارد.

تأخر «كمال» طويلًا في فتح الباب، فقالت الفتاة: أكيد هو ليس بالداخل.

لم تجبها، وواصلت الدَّق على الجرس في عنف، حتى فُتح الباب وظهر «كمال» غاضبًا:

- هل هذا وقت .....

فوجئ بوجود «صبرية» أمامه، فلم يكمل عتابه ولومه، وسار إلى الداخل، وتبعته «فردوس» مبتسمة.

جلس وهو يتأمل وجه «صبرية» وجسدها، فقالت الأم:

- سأعد لك كوب القهوة الكبير، هذا هو الحل.

رمت جزءً من ملابسها وأسرعت إلى المطبخ، وعندما أرادت «صبرية» أن تتبعها، صاح فيها:

- تعالي، اقتربي.

فاقتربت، مازال يتابع جسدها باهتمام شديد:

لكِ حق ترقصين.

صاحت مندهشة:

- ماذا تقول؟!

- أقول إنَّ جسدك خلق للرقص.

جلست أمامه كما أمر.

- أرجو أن ترقصي أمامي.

t.me/qurssan

قامت في تردد، هل أتت بها أمها لكي ترقص أمامه، أم لكي تساعدها في عمل البيت؟

رقصت في البداية بلا حماس، لكنَّها عندما انهمكت أكثر راح الخجل منها، وعندما دخلت أمها بكوب القهوة الكبير، توقفت عن الرقص، فقال مبتسمًا:

- اجلسي، ارتاحي.

ثم قال للأم:

- اجلسي يا «أم حسن» أمامي الآن.

جلست «فردوس» غير راضية عما يحدث أمامها، قال:

- ابنتك «صبرية» خلقت للرقص.

صاحت غاضبة:

- ما الذي تقوله يا أستاذ كمال؟!

- تتمنين أن تعوض بنت من بناتك، صبرك خيرًا، هذه هي التي ستغنيك.

لم ترد «فردوس» بشيء، فـ«صبرية» تحصل على مبالغ قليلة جدًا من محل بيع حقائب السيدات، وأكمل هو لـ«صبرية»:

- تعرفين (كازينو) «سالم الصعيدي»؟

- أعرفه.

- سأنتظرك غدًا في الحادية عشرة صباحًا.

صاحت الأم معترضة: البنت عندها عمل في الغد و.....

قاطعها قائلًا: ابنتك في سنوات قلائل، سيمكنها شراء محل بيع حقائب السيدات وصاحبه.

* * *

t.me/qurssan

لم يكن «سالم الصعيدي» متحمسًا للفكرة:

– يا «كمال»، لا أستطيع أن أغامر بفتاة لم يسبق لها الرقص من قبل أمام الجمهور.

– إنَّني خبير في مثل هذه الأمور، فلا تعارضني لكي لا تندم.

تابعه «سالم» في صمت، فهو يعرف «كمال» منذ أن كان ممثلًا في المسرح العسكري، وقتها كان «سالم» مجندًا في البحرية.

ظلَّ «كمال» في (الكازينو)، أرسل «سالم» عاملًا من عماله ليشتري الغداء له ولكمال ولهذه الفتاة البائسة.

في المساء، جاء سالم ببدلة رقص قديمة، كانت ترتديها راقصة عجوز، لم تعد قادرة الآن على هز وسطها، وظلَّت بدلة الرقص ملقاة خلف المسرح، كلها تراب. أزال عمال «سالم» التراب عنها ولبستها «صبرية» متأففة.

طول «صبرية» وبياض بشرتها وخفتها وجمال وجهها، جعل الزبائن يتزاحمون لمشاهدتها.

كان «سالم الصعيدي» سعيدًا، فلم يمتلأ (الكازينو) هكذا من قبل، حتى عندما رقصت عنده راقصات مشهورات– عملن في السينما– لم يمتلئ (الكازينو) بهذه الطريقة.

أخرج الرجل من محفظته مبلغًا كبيرًا ودسه في يدها، قائلًا: أجرك، ونصيبك من النقطة.

وأكَّد عليها بأن تأتي لترقص كل ليلة.

ليلتها، شدَّها «كمال» إليه وقبَّلها سعيدًا، فوجئت بما حدث، وارتبكت، لكنَّها سعدت أكثر، «كمال» ابن الأغنياء الذي تعمل أمها خادمة عنده منذ زمن بعيد يقبِّلها فرحًا هكذا؟!

t.me/qurssan

وسار معها بجوار (بحر الأنفوشي)، سألها:

- سعيدة يا «صبرية»؟

- جدًا، كأنني ولدت اليوم فقط.

- لن تستمري كثيرًا في (كازينو سالم)، المستقبل أمامك أطول وأعرض.

لم تعط هذا اهتمامًا. كانت تلمس النقود الكثيرة في جيبها فرحة، فأختها «خيرية» بلغتها الفرنسية، لا تحصل على مبلغ مثل هذا خلال أسبوع بأكمله، وربما خلال شهر بأكمله.

ودعها «كمال» حتى باب البيت، وعاد إلى فيلته. فوق درجات السلم أخفت المبلغ الأكبر في ملابسها، ودقَّت الباب في سعادة، أسرعت «خيرية» بفتح الباب وتابعتها «إخلاص» والأم قلقة، أخرجت النقود، رفعتها لأعلى سعيدة.

ابتسمت «إخلاص» وأحنت الأم رأسها ولم تعلق، أمسكت «خيرية» النقود وعدتها:

- كل هذه النقود في ليلة واحدة؟!

أحنت رأسها موافقة وهي شاردة، فما أخفته عنهم كان الأكثر.

لم تبد الأم رضاها على هذا العمل الجديد، لكنَّها اهتمت بـ«صبرية» بعد ذلك، أكثر.

اقتربت «خيرية» من «صبرية» هامسة:

- أختك «إخلاص» تسلمت اليوم ورقة الطلاق.

لم تجبها «صبرية» بشيء، فهذه بداية لمشاكل لن تنتهي، فمن الذي سينفق على «إخلاص» وولديها.

t.me/qurssan

قبل أن تغمض عينا «صبرية»، اقتربت منها «إخلاص» وقالت في صوت خافت:

- هل يمكن أن أعمل معك في (الكازينو)؟

تابعت «صبرية» بطن «إخلاص» البارز ومؤخرتها الواضحة ولم تعلق بشيء.

في الصباح أسرعت «إخلاص» إلى (كازينو سالم الصعيدي)، طالبة العمل في (الكازينو) كراقصة مثل «صبرية»، تابع جسدها غير المناسب للرقص وقال:

- ستعملين في المطبخ.

أحست بالأسى، ظنّته سيرحب بها كراقصة مثل «صبرية» - أختها - أو على الأقل يسمح لها بمجالسة الزبائن. صاح في نفاد صبر:

- ماذا ترين؟

- أي عمل والسلام.

لكن «صبرية» عندما رأتها في (الكازينو)، صاحت فيها غاضبة: تقبلين العمل كخادمة؟!

وعندما وجدتها تبكي حزينة، ضمتها لصدرها، وقالت:

- لا تغضبي، إنّني في حاجة لمساعدة، ستعملين معي.

٥٥٥

لم تستمر «صبرية» في عملها بـ (كازينو سالم الصعيدي)، أحست بأنّها أكبر وأهم من مسرح فقير مثل هذا، الزبائن لا تجد مكانًا للجلوس وهي ترقص، الرجال يقفون خارج (الكازينو)، يتابعون رقصها من بعيد، وكل ليلة يأتيها عرض لـ (كازينو أكبر) على البحر في (الشاطبي) أو

t.me/qurssan

(كامب شيزار) أو في (القاهرة) بشارع الهرم، لكنَّها لن تتخذ قرارًا دون استشارة «كمال» وموافقته، مشكلتها معه أنَّه يغيب عنها باليوم والاثنين والثلاثة، فما زال يعمل في البحرية.

عندما جاء هذا الصباح، كانت نائمة، فهي تسهر «لوش الصبح» في (الكازينو)، فسمحت له أمها بالدخول عليها في حجرة نومها ليوقظها بنفسه، صاحت في غضب، لكن عندما وجدته هو هبت فرحة:

– أستاذ «كمال»، لماذا تبعد عني؟!

– ما زلت ملحقًا بالبحرية، لا بد أن أكمل مدتي، هذه هي الأوامر.

قفزت من فوق السرير فرحة: دقائق واتفرغ لك.

أمسك يدها:

– استعدي للعمل الجاد، كل ما فعلتِه كان فتح نفس، من الليلة أنت الراقصة «صابرين»، وليست «صبرية».

– «صابرين»؟! أنا اسمي «صبرية».

– لا، أنت «صابرين» من الآن، وستعملين في أكبر (كازينو) في مصر، اتفقت معهم وستعملين من الليلة.

– سأسافر القاهرة، وأين أسكن؟

ضحك:

– هذه شغلتي، فأنا ملك التسكين، أشهر الممثلين والممثلات أوجدت لهم أماكن إقامة في (الإسكندرية) و (القاهرة).

ثم أكمل:

– وستتركين هذه الشُّقة غير المناسبة لك.

– وأين الشقق؟

t.me/qurssan

- عندي شقَّة لك، ليست بعيدة، هي في (شارع التتويج)، إيجارها ليس كبيرًا.

انتقلت «صبرية» لشقَّة «كمال»، ذهبت معها أختها «إخلاص»، التي تعد لبيستها الخاصة، ورفضت الأم ترك شقتها، كم أنَّ «صبرية» لم تكن راغبة إلا في «إخلاص»!

تغير وضع «صبرية» في البيت، صارت هي الأهم، فهي التي تدفع، والكل يطيعها وينفذ أوامرها بما فيهم أمها.

لم تستأذن أمها في السفر، وإنما أبلغتها بقرارها:

- سأسافر مع الأستاذ «كمال» إلى (القاهرة)، سأعمل هناك، في (كازينو) كبير، و....

لم تنطق الأم بكلمة، الهم زاد بمرض الولد الكبير «حسن»، مصاريف علاجه زادت. منها لله «سميرة» زوجة «متولي» الكونترجي، ضيعت زوجها وصبيه، وتبحث الآن عن غيرهما، لتضيعهم.

اشتهرت الراقصة «صابرين» ونافست «نجوى فؤاد» - أشهر راقصات مصر - وكتبت الصحف والمجلات: إنْ «صابرين» أجمل، وترقص أفضل منها بكثير.

تابع حي بحري صورة غلاف مجلة «الكواكب»، و«صبرية» تقف ببذلة الرقص، ورقصت في الكثير من الأفلام، كانت ترقص بهدوء، وعلى موسيقى أغاني مشهورة لعبد الحليم ونجاة وأم كلثوم.

أوجد «كمال» مكانًا لها في شقَّة من شققه الكثيرة في القاهرة.

وفي (الإسكندرية) تعيش في شقَّة فخمة بشارع (التتويج)، قريبة من قهوة فاروق، لا تذهب لبيت أمها إلا لتقديم النقود والهدايا لهم.

t.me/qurssan

مهما فعلت «صبرية» لن تستطيع رد جميل «كمال» لها، تتصل به تليفونيًا في الأيام التي يكون فيها خارج الخدمة، تستشيره في كل شيء: عرض لترقص في أحد الأفلام، وعرض عليها أحد المنتجين الكبار أن تمثل في الفيلم مع الرقص، ستكون زوجة من زوجات «فريد شوقي» الكثيرات، قالت للمنتج:

– لا، لا بد أن استشير الأستاذ «كمال».

صاح المنتج في ضيق وهو مندهش مما تقول:

– أنت حرة، لكن يجب أن تردي علي في الغد، أنا مستعجل.

قابلت «كمال» في المساء، فتحمس للفكرة وصاح فيها:

– دور مثل هذه سينقلك نقلة كبيرة، ولا يحتاج لمشورة.

– لا يا أستاذ «كمال» أنا لا أستطيع قبول أي عرض بدونك.

° ° °

دقَّ جرس الباب في شقة «صبرية» الجديدة، كانت «إخلاص» مشغولة بإعداد الطعام في المطبخ، فهي تعيش في الشقَّة مع «صبرية» وحدهما، وعندما أتت بولديها، صاحت «صبرية» فيها غاضبة:

– الولدان يعيشان هناك مع «فردوس» أمك، ليس لدينا وقت لهما،

أخفضت «إخلاص» رأسها للأرض ولم ترد، ثم استأذنت منها وأعادتهما لأمها وهي تبكي.

° ° °

فتحت «إخلاص» الباب وهي ممسكة بمغرفة كبيرة، فوجئت بـ «عبد القادر» أمامها، ارتبكت، ظلت تنظر إليه وإلى المغرفة، وهي تبتسم في خجل: تفضل يا «عبد القادر».

t.me/qurssan

هذا وقت نوم «صبرية»، ولا يستطيع أحد أن يوقظها قبل موعدها، والموعد لم يحن بعد.

سار «عبد القادر» إلى الداخل وهو يتابع الشَّقة الفخمة، وأثاثها المرتفع الثمن.

«عبد القادر» لم يقل كلمة منذ أن جاء، حتمًا جاء ليدفع لها مصاريف الولدين، فربما رقَّ قلب خاله أخيرًا، وأرسله بالنقود، أو لعله جاء كحمامة سلام لتعود «إخلاص» لبيت زوجها كما كانت.

جلس «عبد القادر»، و«إخلاص» حائرة لا تعرف ماذا تفعل، فسوف يتأخر طعام «صبرية»، ولو حدث هذا، ستثور وتسب «إخلاص»، كما تفعل في كل مرة.

تابع «عبد القادر» الشَّقة باهتمام ثم قال:

- تعيشان فيها وحدكما أنت و«صبرية»؟

- نعم.

- علمت من زملائي في الملعب عن هذه الشَّقة الجديدة، فقلت آتي لتهنئتكما بها.

الوقت يمر، وهو لم يفصح عن سبب مجيئه، قالت «إخلاص»: كيف حال خالك؟

ارتبك، وتابع الجدران وصور «صبرية» المعلقة:

- خالي بخير، بخير.

- تعرف أنَّه لم يدفع مليمًا من مصاريف ولديه للآن.

ضاق «عبد القادر» من حديثها، ماله ومال خاله، لقد جاء لمقابلة «صابرين» - الراقصة المشهورة الآن - لقد حكى لزملائه أنَّه يعرفها، فلم

t.me/qurssan

يصدقوه، فوعدهم بأن يأخذهم لمقابلتها، وقد جاء هذه المرة وحده ليمهد للقاء. قال لـ «إخلاص»:

- سأحدث خالي لكي يدفع لهما المصاريف.

- ظننتك جئت لتخبرني بأنَّه سيعيدني إليه.

- نعم، نعم، سيحدث هذا في القريب، لكن أين «صابرين» الراقصة المشهورة؟

- نائمة الآن.

وقامت لتكمل إعداد الطعام، وتعدّ له الشراب إلى أن يحين موعد استيقاظ «صبرية».

لم يمر وقت طويل حتى دقَّ الباب، أسرعت «إخلاص» لفتحه، فوجدت «خيرية» أمامها، صاحت فرحة: بلغني أنَّ «عبد القادر» لديكما.

لم تجبها «إخلاص»، وسارت للداخل و«خيرية» وراءها، وقف «عبد القادر» عندما رآها، رحب بها باهتمام أدهشها، فهو أول مرة يهتم بها هكذا.

قدمت «إخلاص» الشراب لهما، وظلا يتحدثان ويتمازحان بصوت مرتفع، وسمع «صبرية» تنادي «إخلاص» في غضب:

أنتِ يا «إخلاص»، أنت يا .....

قبل أن تسب وتلعن كعادتها فوجئت بـ «عبد القادر» و«خيرية» أمامها، فصافحتهما في تثاقل وأسرعت لمقابلة «إخلاص»، صاحت فيها:

- ما الذي تفعلينه يا ست «إخلاص»؟

- ماذا فعلت يا.....

t.me/qurssan

أنَّها تناديها بكلمة «هانم» أمام الضيوف، حتى اعتادت عليها، قالت «إخلاص»:

– لا شأن لي بحضورهما، «عبد القادر» يريد زيارتك مع زملائه لاعبي الكرة، وأختك تريد أن تسعد بمقابلته كما تعرفين.

سارت «صبرية» في تثاقل وأكملت ما تفعله كل يوم في ذلك الوقت، وكأن الشَّقة ليس بها سوى «إخلاص».

في اليوم التالي جاء «عبد القادر» ومعه زملاء الملعب، جاءوا في وقت متأخر ليلحقوا بـ«صبرية»، وبعد قليل جاءت «خيرية»، وجلسوا جميعًا، لاعبو الكرة، و«خيرية» و«صبرية»، وخدَّمت «إخلاص» عليهم جميعًا.

تكرر هذا، كانوا يأتون محملين بالهدايا، ويبقون في الشَّقة لوقت متأخر من الليل، حتى ثار سكان المنطقة، فهم يعرفون لاعبي الكرة، ويعرفون «صابرين» الراقصة المشهورة، قادهم «عباس العسكري»، وإمام (مسجد البوصيري)، هددوا بإبلاغ الشرطة.

ooo

عاد «كمال» إلى شقَّة من شققه الكثيرة في (الإسكندرية) ففوجئ باستدعاء للتحقيق معه في النيابة العسكرية، أحس بالقلق، ما الذي فعله ليحققوا معه؟!

واجهه المحقق قائلًا:

– معلومات وصلتنا بأنَّك تدير شققًا لتسهيل الدعارة.

صاح غاضبًا: شققي في (القاهرة) و (الإسكندرية) يسكنها ممثلون وممثلات معروفون، يشتركون في أفلام تعرض في السينما.

قال: إنني لست جهة تحقيق، عملي جمع المعلومات، وسأحيلك

t.me/qurssan

للمحقق، وموعد التحقيق.

ذهب «كمال» للمكان المحدد، جلس في انتظار دعوته للتحقيق، جلس أمام شاب صغير يرتدي الملابس العسكرية، صاح في ودٍّ:

- أهلا بك يا أستاذ «كمال»، تفضل بالجلوس.

جلس دون كلمة واحدة، نظر في الأوراق الكثيرة أمامه وصاح:

- يتهمونك بتسهيل الدعارة في الشقق التي تمتلكها وتديرها بنفسك.

- صدقني، هذا لم يحدث.

- وأنَّك تتعامل مع نساء يمارسن البغاء.

- قسمًا بالله ما حدث هذا، كلهنَّ ممثلات محترفات.

عاد للخلف، وصاح:

- أخ «كمال» أنا شاب مثلك، فاسمح لي أن أحدثك بصراحة.

- أنا لم أخالف القانون قط.

- أخ «كمال» صدقني، سأخرجك من هذه المشكلة. بشرط.

- ما هو؟!

- أن تأتي لي بواحدة منهن.

أراد «كمال» أن يثور، ويدفعه بأي شيء يجده أمامه، الرجل يريد أن يوقعه، يتباسط معه في الحديث ليعترف «كمال»، إنّه يفهم هذه الألاعيب جيدًا.

- يا حضرة المحقق، أنا لا أعرف هذا النوع من النساء.

أغلق المحقق الملف، قائلًا:

- وأنا مُصِر على طلبي، سأكتب لك عنوان شقتي، أنا أعزب وأعيش فيها وحدي.

كتب ورقة وأعطاها لـ «كمال»:

t.me/qurssan

- خذها ولا تتردد.

- أرجوك صدقني، لا أتعامل مع هذا النوع من النساء ولا أعرفه.

وقف المحقق ومد يده له مصافحًا:

- انتهى التحقيق وفي انتظار ما طلبته منك.

وقف «كمال» حائرًا، تردد، أيخرج من الحجرة على هذا الوضع، ألا يكون هذا كمينًا من المحقق ليدينه؟!

سار خطوات، فقال المحقق: أستاذ «كمال» أرجو أن تحسن الاختيار.

خرج من مبنى التحقيق شاردًا وحائرًا، ما هذا الشيء العجيب الذي يريده المحقق منه، إنَّه يتعامل مع ممثلين، معظمهنَّ كومبارس، بعضهنَّ يمارسن البغاء، لكن بعيدًا عنه، لم يتم هذا في أي شقَّة من شققه، لا في (القاهرة) ولا في (الإسكندرية) والكل يعرف هذا عنه.

إنَّه يخشى نهاية التحقيق، فحتمًا ستكون ضده، فهو لا يمكن أن يفعل ما يطلبه منه المحقق، كيف سيحصل على امرأة داعرة، وما شأنه بهذه الأمور، هل يمكن أن يكون عقابه السجن؟ هذا غير الفضيحة فالموضوع ليس سهلًا، إنَّه تسهيل عملية البغاء في شققه الكثيرة.

ذهب لشقَّته، يشاركه فيها ممثلون وممثلات يشتركون في فيلم يصورونه الآن، كل من في الشَّقة من خارج (الإسكندرية)، وليس لديهم أماكن إقامة فيها، شققه هي الأنسب فإيجارها أقل، كما أن المخرجين والمنتجين والريجسيرات يعرفونهم، ويأتون كل ليلة لاختيار من يريدون لأفلامهم.

كان حزينًا، داعبته أكثر من واحدة: مالك يا أستاذ «كمال»؟!

دخل حجرته واستلقى على السرير يفكر في أزمته التي لا يجد لها

t.me/qurssan

نهاية، امرأة داعرة، أو أن يسجن على شيء لم يفعله.

سمع صوت «صبرية» في الخارج، الكل التف حولها، فقد ازدادت شهرة في فترة وجيزة، معظم الأفلام ترقص فيها، أوقفت حال «نجوى فؤاد» و«ناهد صبري»، صور «صبرية» في الجرائد والمجلات أكثر من صورهما، سمعها تسأل عنه:

- أين الأستاذ «كمال»؟

قالت واحدة:

- إنَّه على غير عادته اليوم.

وقالت أخرى: منذ أن جاء لم يخرج من حجرته.

وسمع صوت أختها «إخلاص» التي تعمل مساعدة لها.

أسرعت «صبرية» إليه، دقَّت الباب في دلال: افتح يا أستاذ «كمال»، أنا «صبرية».

قام متكاسلًا ليفتح الباب، في الحالات العادية كان يلومها قائلًا:

- انس «صبرية» هذه، أنتِ الآن «صابرين» (ويطول في نطق كلمة صابرين)

لكنَّه لم يعلق هذه المرة:

- مالك يا أستاذ «كمال»؟

- متعب قليلًا.

جلست بجواره على السرير:

- احك لي، ماذا حدث لك؟

- لا شيء.

دخلت «إخلاص»، رحبت بـ «كمال»، وهمست في أذن «صبرية»،

t.me/qurssan

فأجابتها في حدة. ظلّت «إخلاص» في الحجرة، وسط دهشة «صبرية» وضيقها بها، قالت لـ «كمال» مداعبة:

- لا، الموضوع كبير جدًا، ما دمت حزينًا هكذا.

حكي لها ما حدث، صمتت لبعض الوقت، ثم صاحت:

- الشّقة التي أوجدتها لي في (شارع القتويج)، يأتي إليها «عبد القادر» لاعب الكرة وزملاء له.

قال في دهشة:

- وما شأن هذا بموضوعنا؟

- اعترض بعض السكان لحضورهم الكثير للشقّة، وأحدثوا ضجة.

وقف غاضبًا:

- ولماذا لم تخبريني لأتصرف؟!

- ظننتها مشكلة بسيطة وستحل، لكنّ أحدهم عسكري في الميناء، وحتما هو من قدم الشكوى.

- والعمل الآن؟!

- أعطني عنوان هذا المحقق، سأذهب إليه.

صاح في دهشة:

- ستذهبين لمن؟!

- لذلك المحقق، فأنا سبب مشكلتك، ولن يحلها سواي.

- وأنا لن أسمح لك بذلك مهما كانت النتائج.

- إنني جادة فيما أقول، لن يذهب إليه سواي، فقد قدمت لي الكثير، وفرصة لكي أرد جزءً مما قدمت.

فصاح:

t.me/qurssan

- أرجوكي يا صابرين، لا تعقدي المسألة بفعلتك هذه.

- لن يذهب للمحقق سواي وانتهى الأمر.

صاح وقد وافق على أن تذهب لحل مشكلته:

- إنني خائف، أخشى أن يكون هذا كمين للإيقاع بي.

- اطمئن، لا كمين ولا حاجة، قلت لي أنّه شاب صغير، تصرف عادي جدًا، أعطني العنوان لكي انتهي منه قبل الذهاب (للكازينو) الليلة.

قام غير مصدق، طلب أحد مساعديه في الشّقة، أعطاه عنوان المحقق، وطلب منه أن يشتري كباب وكفتة وزجاجة خمر لزوم السهرة.

وبالفعل اشترى المساعد كل الأشياء، وصعد العمارة الكبيرة في جليم، دقَّ الباب وسلم الأشياء لشاب يرتدي روب دي شامبر، قائلًا:

- هذه الأشياء من الأستاذ «كمال أنور».

سعد المحقق. فهذا معناه أن المرأة ستأتي بعد قليل، أسرع ليعد نفسه للقاء.

سارت «إخلاص» خلف أختها، قالت: ستذهبين حقيقة لمقابلة هذا المحقق؟

صاحت فيها غاضبة:

- ما شأنك بأشياء مثل هذه؟!

- إنني أخاف عليكِ.

واجهتها «صبرية» في حدة:

- ابن أخت طليقك هو السبب فيما حدث للأستاذ «كمال».

- الرجال الذين اعترضوا على حضور لاعبي الكرة لشقتنا هم السبب.

- وأختك التي تأتي كلما علمت أن «عبد القادر» لدينا، ولا تخرج من

t.me/qurssan

الشقَّة إلا وش الفجر.

– رغم هذا، لن أسمح لك بالذهاب.

دفعتها «صبرية» في عنف، حتى كادت توقعها على الأرض:

لا تتعدي حدودك، وتتدخلي في شئوني، فأنا كنت أعرف ما فعلتِه في الشلالات، ولم أخبر أحدا بذلك.

– أنت أختي الصغيرة.....

قاطعتها غاضبة:

– لقد انتشلتك من مصير قاتم لو ظللت في عملك بالشلالات، فلا تضطريني أن أتصرف معك.

نظرت إليها «إخلاص» في أسى وسارت بعيدًا لتعد لها ملابس الخروج.

ooo

قبل نصف ساعة، دقّ جرس الباب، فأسرع المحقق لفتحه، فوجد «صابرين» أمامه، لم يصدِّق نفسه، «صابرين» الراقصة المشهورة، والتي ترقص الآن في الأفلام؟!

من شدة المفاجأة لم يرحب بها، فقالت بدلال: ألن تدعوني للدخول؟!

صاح مرتبكًا: تفضلي يا أفندم.

الرجل ما زال مندهشًا مما يجري أمامه، جلست على المقعد وقد خلعت الحذاء والفستان استعدادا للقاء، قال المحقق:

– طلبت امرأة، لكن لم يخطر ببالي أن تكون أنتِ.

– هذا لأن الأستاذ «كمال» قدره غالٍ جدًا عندنا.

وانتهي التحقيق برفض الاتهام، وصار المحقق من أصدقاء «كمال»، يتحدثان معًا كثيرًا في التليفون. ويتقابلان، ومازال الرجل يردد في دهشة:

t.me/qurssan

- أطلب امرأة، أي امرأة، ترسل لي الراقصة «صابرين» بحالها؟!

t.me/qurssan

(٧)

يسكن الخواجة «يني» في عمارة قريبة من (شارع التتويج) - بالقرب من قهوة «فاروق».

الدور الأرضي مقر تجارة «الحاج التونسي» - صاحب العمارة - وهو أصلا من (تونس)، ويسافر إليها من وقت لآخر، فما زال أقاربه يعيشون فيها، جاء والده إلى مصر منذ سنوات طوال، بعد أن اشتدت الأزمة بالتونسيين، كانت (الإسكندرية) بالنسبة لهم الأمل والخلاص، قال يومًا لمن معه في الدكان الكبير:

- تعرفون رغبة السكندري المحتاج للعمل في (الكويت) الآن، هكذا كانت (الإسكندرية) بالنسبة للمغاربة بصفة عامة.

يحكي «الحاج التونسي» لمن معه وهو يتابع أوراق تجارته من وقت لآخر في مكتبه - وهو جزء مقتطع من دكّانه الكبير - يمكن - منه - أن يراقب كل ما يحدث في دكّانه - قال:

- أول مغربي وفد للإسكندرية كان أيام الوالي «محمد علي» اسمه «الأزراري»، كانت له دار خالية النوافذ، بجوار كتّاب «الشيخ الحفش»، (وأشار بإصبعه لمكان مدرسة الشيخ الحفش) وكان «الأزراري» - هذا - يرتدي الزي المغربي، وكان مشهورًا بالحرص والتقتير.

يقول الخواجة «يني»: إنّه لاحظ أنّ الكثير من المغاربة - الذين يعيشون في مصر يشتهرون بالحرص والتقتير - فـ «الحاج التونسي» مشهور أيضًا بالبخل رغم غناه الفاحش، فهو يمتلك عمارة مماثلة لهذه في مواجهة ضريح أبي العباس المرسي.

t.me/qurssan

وقاض كبير قريب لـ «لحاج التونسي» كان بخيلًا أيضًا، لدرجة أنَّه لم يتزوج رغم قرب وصوله لسن المعاش خوفًا من أن تأخذ زوجته ماله الكثير الذي يكنزه، وكان يضع أمواله في بنكين، واحد حكومي والآخر قطاع خاص تحسبًا للتغيرات التي قد تحدث في مصر فتضيع عليه أمواله.

وقد قرأ «يني» في جريدة الجمهورية للصحفي «إبراهيم الورداني» – فهو يحرص على قراءة الجرائد كل يوم – أنَّه رأي «الحبيب بورقيبة» وقت لجوئه السياسي لمصر وطرد الفرنسيين له، رآه في (القاهرة) يتشاجر مع بائع الفول المدمس لأنه لم يعطه كمية أكبر.

يسكن «الحاج التونسي» في الدور الأول العلوي في شقتين، أزال الجدار الفاصل بينهما، ويعيش فيها مع أسرته الكبيرة.

يزوره فيها التوانسه أقاربه، شاهد الخواجة «يني» «الحبيب بورقية» يدخل العمارة، ويصعد درجات السلم، ويدقَ باب الشقة الكبيرة.

كان يقضي في العمارة أياما كثيرة، قبل أن يعود لـ (تونس) ليتولى رئاستها.

ورآه «يني» كثيرا جالسا في دخلة الدكان يتحدث عن بلده. يقول للتوانسة الكثيرين في الحي:

– عندما نحصل على استقلالنا، سأدعوكم للعيش في بلدكم «تونس».

وفي الدور الذي يلي شقة التونسي، شقتان، أحدهما: لطبيب تركي وزوجته طبيبة مثله، والثانية: لأسرة يهودية، يعملون في أعمال غريبة، يبيع الزوج ورق يانصيب، والزوجة تطوف على المقاهي مع ابنها الكبير الذي يحمل قفصًا فيه جوز حمام، وتحمل هي «كارتلة»، فيها صور متعددة، مسدس، وبندقية، وهلب، ونجم وقمر.. إلخ. يدفع المشترك في

t.me/qurssan

اللعبة نصف فرنك، وفي أعلى الكارتلة الصورة الكسبانة، مغلقة ومحاطة برصاص ليتأكد المشترك أنَّها لم تفتح وتفض من قبل.

المرأة اليهودية وابنها لا يعرفان - حقيقة - الصورة الكسبانة، ومن سيفوز، سيحصل على جوز الحمام.

تخرج اليهودية بمبلغ لا بأس به من بيع كل صور «الكارتلة» ثم يذهب الولد بشراء أخرى، فقد كانت معلقة على واجهات المكتبات ودكاكين الخردواتية، ويأتي الولد بزوج حمام آخر من البيت، فأمه تربي كمية كبيرة منه.

يسكن «يني» في الدور الأخير - قبل السطح مباشرة - يعمل موزع سجائر لدي «فيكتور اليهودي» - صاحب مصنع الكينا - وصاحب توكيل بيع السجائر في (حي بحري) كله.

لا يرتاح «يني» للولد «نيقولا» - ابن فيكتور - فهو مغرور، لا يتفاهم إلا بالشجار، كان يحب البنت «نجوى» ابنة «يعقوب» الرهوناتي، لكنَّها لم تحبه رغم أنَّها يهودية مثله.. فذهب «نيقولا» لشقتهم وضربهم جميعًا: «يعقوب» الرهوناتي وزوجته «سارة» وابنتهما «نجوى».

«نيقولا» - رغم قصره - كان قويًا، يلعب ملاكمة في نادي «الميكابي» بـ «محطة الرمل» وفاز ببطولات كثيرة.

«فيكتور» مختلف عن ابنه «نيقولا»، وكثيرًا ما عنفه لشدته مع الآخرين. يشرف «نيقولا» على العمل في مصنع «الكينا»، والمعرض في (سانت كاترين) - قريبًا جدًا من محلات هانو - ويشرف - أيضًا - على توكيل السجائر.

يضع «يني» السجائر الكثيرة في قفص كبير، معلق في مقدمة درّاجته،

t.me/qurssan

ويدور على محلات الدخاخنية، يترك لهم ما يخصهم من علب، ويحصِّل منهم ثمن سجائر الأمس، هكذا هو العمل.

عندما تزوجت «نجوى» - من الولد المسلم - غضب «نيقولا»، وشرب بيرة حتى سكر، وهدد بضرب الجميع: «نجوى» والولد المسلم وكل من يتعرض له، لكنَّ «فيكتور» صفعه على وجهه عدة صفعات حتى أفاق، كان «يني» حاضرًا وقتها، وشارك «فيكتور» في منع «نيقولا» من إيذاء الآخرين.

عندما ينطلق «يني» بدراجته يغني أغاني «فريد الأطرش» التي يفضِّلها ويحبها، أهل الحي يقولون: إنَّه «بيجيب» صوت «فريد الأطرش» تمامًا، وكأنه هو الذي يغني، ذلك جعله يحرص على حفظ كل أغانيه، ومشاهدة أفلامه لمرات عديدة، وتعليق صوره على جدران شقته الصغيرة.

لم يتزوج «يني» لذا يشيعون عنه في الحي أنَّه شاذ، خاصة أن كثيرين يعيشون في (حي بحري)، ثبت شذوذهم.

حقيقة «يني» لم يتزوج، لكنَّه لم يبتعد عن معاملة النساء، فقد أقنع نفسه، بإن هذه غريزة، وحاجة مثل كل حاجات البني آدمين، كالأكل والشرب، ولا بد من قضائها، فهو يخصص مبلغًا من أجره لهذه الحاجة، يضعه في مكان، بعيدًا عن مصروفاته اليومية.

تعامل مع سيدات كتيرات في أماكن الدعارة المعروف مكانها، يحدد لنفسه موعدًا ثابتًا كأنه متزوج.

في شبابه كان يذهب لهذه الأماكن مرتين في الأسبوع، والآن يكتفي بمرة واحدة، وعندما يذهب إلى هناك يرحبون به، يعرفه الرجال والنساء، ويسألهم عن داعرات تعامل معهنَّ منذ سنوات طويلة، قليل منهم تزوجن وهجرن المهنة، والباقيات لقين حتفهن.

يجلس في قهوة «الزردوني»، يأتيه أهل الحي، يمازحونه: كيف

t.me/qurssan

حالك يا خواجه؟

يصيح فيهم غاضبًا:

- أنا مصري مثلكم، لا داعي لكلمة خواجة.

من أصدقائه المقربين في الميناء «عباس العسكري»، كان طويلًا ونحيفًا، يقولون هناك أنَّه لم يمد يده على رشوة طوال حياته، فالرشوة حرام، وهو ملتزم ومتدين، لذا كان شديدًا في مراقبة الباب الذي يحرسه، لا يسمح بخروج أي شيء مخالف، يصلي العشاء في (مسجد البوصيري)، فهو من أتباع إمام المسجد.

لقد تصدَّي «عباس العسكري» لظاهرة انتشرت في بحري وهي (صراع الديوك)، «كوستا» صاحب المطعم في (شارع التتويج)، يربي ديوكًا كبيرة الحجم ويدربها على المبارزة، ويتحداه الولد «نيقولا» ابن صاحب معمل «الكينا» وصاحب توكيل البجائر في بحري.

كل أحد - يوم إجازة «نيقولا» - يأتي كل منهما بديكه فوق قهوة «الزردوني»، فيتقاتلان في عنف، ويقف الرجال في مقدمة القهوة، بعضهم يشجع ديك «كوستا»، والآخرون يشجعون ديك «نيقولا».

قال «عباس العسكري» للخواجة «يني»:

- أنذرت الاثنين، ولو فعلاها ثانية، سأذبح الديكين أمامهما، قبل بدأ المباراة.

وعندما أطلق كل منهما ديكه أمام القهوة، حلَّ «عباس العسكري»، فأسرع كل منهما بحمل ديكه وهرب.

«عباس العسكري» لا يهتم بموضوع الغناء، وعندما يغني «يني»

t.me/qurssan

على القهوة أغاني «فريد الأطرش» يبتسم «عباس» ويبتعد، لكنَّه يشارك «يني» في حب «جمال عبد الناصر» والإعجاب به، فمنذ أن قامت الثورة و«يني» يشجعها، أحبَّ «محمد نجيب» وتحدث عنه كثيرًا، وكان يقلده في خطبه، يخطب على القهوة، ويصفق الكثيرون ضاحكين، وعندما لمع نجم «عبد الناصر» أحبه أيضًا، وزاد هذا الحب حتى صار إدمانًا، عندما أمم «عبد الناصر» قناة السويس.

لا يعرف «عباس العسكري» ما يفعله «يني» في مسألة النساء، فهذا يعتبر زنا، و«عباس» لا يسمح به ولا يوافق أو يتستر عليه، و«يني» عاقل ويعامل «عباس العسكري» على قدر عقله.

مشكلة «عباس» مع «يني»، أنَّه يخطط لكي يدخله الإسلام، يحدثه كثيرًا في الدين، و«يني» يسمع في صمت، ويومئ برأسه علامة الموافقة والسعادة.

بينما كان «يني» عائدًا لبيته مساءً، قابلته «سميرة» – زوجة «متولي» الكونترجي – كانت تطرقع بشبشبها لتلفت أنظار المارة، يعرف «يني» ما يحكونه عنها، وإنها تسببت في مرض زوجها و«حسن» صبيه من فرط رغبتها.

هذه الحوادث ليست غريبة ولا جديدة عليه، فهو يعرف يونانية تسكن قريبًا من سينما مترو بشارع (صفية زغلول)، لو لم تجد رجلًا، تسرع باصطياد أي رجل، ويحكون أنَّها لم تجد سوى البواب المسن، فنادته، ودفعت له، وهددته إن لم يستجب لإرادتها، وتم هذا معه، لكنَّها تعبت، تمنت ألا تضطرها الظروف للاستعانة به ثانية.

كانت «سميرة» تتصرف وكأنها ثملى من أثر ما شربته من خمر، أو

t.me/qurssan

أنَّها تتظاهر بهذا. و«يني» – طبقًا لنظريته في هذا الشأن – ليس لديه مانع من التعامل معها، أو مع غيرها بشرط ألا تضره، وأن تسعده في اللقاء، صاحت:

– إلى أين يا خواجة؟

– إلى بيتي.

– حقيقة ما يشيعه الناس عنك في الحي؟

فهم مقصدها من هذا القول، فهو مدخل مناسب لما تريد.

– كلها إشاعات كاذبة.

– فلماذا لم تتزوج للآن؟

– ولماذا أتزوج، وأنا أحل مشكلتي عندما يحين الموعد.

– مع الأولاد كما يدعون؟!

– بل مع النساء.

ضحكت بصوت مرتفع، لولا أن الشارع خالي من المارة، لالتف الناس حولهما:

– واضح أنَك رجل مجرب.

– ومستعد لإثبات ذلك، لو شئتِ الآن.

كانت «سميرة» مثله في حاجة لرجل مناسب، أي رجل، فسارا معًا، صعدت معه بيت «التونسي»، الوقت متأخر، والناس في شققهم، فلم يروا «سميرة» وهي صاعدة السلالم معه، عندما أرادت أن تتحدث، أشار إليها لكي تصمت، لكنَّ المرأة التركية رأتها، وكذلك الولد اليهودي، حمد «يني» ربنا لأن أحدًا من عائلة التونسي لم يرها معه، وإلا كانت حدثت كارثة.

سعدت «سميرة» باللقاء، وقالت:

t.me/qurssan

- أنت عفريت وأنا لا أعلم.

أخرج نقودًا من محفظته، وقدمها إليها، فغضبت قائلة:

- لست داعرة.

أصرَّ على أن تأخذ نقوده:

- هذا حقك.

- لكنَّني هاوية، أؤدي هذا لمزاجي.

- أعلم، لكنَّ هذا حقك.

دس النقود في صدرها، وهي لم تعيدهم إليه، كان هذا أول مبلغ يأتيها بسبب هوايتها هذه، وهي عائدة لبيتها، ضحكت، وقالت لنفسها:

- في الأول كنت أدفع، فلأغتنم الفرصة وأكسب مع المتعة.

مشكلة «سميرة» مع «يني»، أنه لا يمكن أن يتعامل معها كل يوم، فلديه جدول منظم، وهي عندما قابلته كان في وقت احتياجه لامرأة لذا أصر على طردها من شقته عندما جاءته في موعد غير مناسب له، وقال:

- إذا أردتك سأبحث عنك.

قالت:

- لن آخذ منك شيئًا هذه المرة.

أعاد فستانها لجسدها قائلًا:

- المسألة ليست مسألة نقود. أنا لا أفعل هذا إلا في مواعيد محددة.

خرجت غاضبة، ورددت لنفسها وهي نازلة على السلالم:

- إنه رجل مجنون لا شك.

***

أصيب «يني» بحالة اكتئاب حادة بعد هزيمتنا في حرب ٦٧، لدرجة

t.me/qurssan

أنّه كان يبكي وهو جالس مع أصدقائه في قهوة «الزردوني»، وامتنع عن العمل لعدة أيام، ورأه الناس يبكي وهو سائر وحده في شوارع وحواري بحري.

قال لـ «عباس العسكري»:

- إنني حزين من أجل «عبد الناصر».

أرسل «فيكتور» ابنه «نيقولا» ليسأل عنه في شقته بعمارة «التونسي» كان منهارًا، قال:

- آسف، ابحثوا عن غيري ليوزع السجائر.

حاول «نيقولا» معه كثيرًا دون طائل.

بعد عدة أيام، خرج «يني»، كانت لحيته محلوقة، وملابسه نظيفة ومكوية، يعرف أن «عباس العسكري» في عمله الآن في الميناء، جلس على قهوة مواجهة لباب الجمرك وانتظره، وعندما رآه آتيًا أسرع إليه. دعاه لشرب واحد شاي، وقال:

- أريد أن أدخل الإسلام.

أحس «عباس» بأنّه قد انتصر، ونجح في مهمته، أخذه لمقابلة إمام (مسجد البوصيري)، الذي رحب بـ «يني»، وحدثه كثيرًا عن فضل الإسلام، و«يني» مخنوق من حديثه، كل ما يريده أن يساعده من يستطيع المساعدة على دخول الإسلام.

اتفقوا على ألا يذهب «عباس» في الغد لعمله، وإمام (مسجد البوصيري) سيتفرغ للذهاب معهما إلى المحافظة في بدء الإجراءات.

وشاع الخبر في (حي بحري) كله، الخواجة «يني» سيدخل الإسلام،

t.me/qurssan

وتبرع الكثيرون للذهاب مع «يني» و«عباس العسكري» وإمام (مسجد البوصيري)، سيزفون «يني» ليغيظوا به غير المسلمين في الحي.

وقف إمام مسجد البوصيري في الشارع بردائه المميز، ومسبحته الطويلة التي لا تفارقه، ومعه الكثيرون من أهالي الحي، وصعد عباس العسكري ليأتي به.

دقَّ الباب في عنف دون طائل، حتى صعد باقي السكان ليروا ما يحدث، «الرجل التركي» واليهودي وأسرته، وصعد «الحاج التونسي» وأسرته، اضطروا لكسر باب الشُقة، فوجدوه ميتًا، يقولون أنَّه كان مبتسمًا، لكنَّ الكثير من أهل الحي أشاعوا أنَّ المسيحيين في الحي قتلوه ليمنعوه من دخول الإسلام، ويجيب البعض بأنَّ الحادث ليس فيه أي شبهة جريمة.

حاول «عباس العسكري» أن يدفنه في مساجد المسلمين، وأكَّد إمام (مسجد البوصيري) على ذلك، لكنَّهم لم يجدوا ورقة صريحة تؤكد كلامهم، وتم دفن الخواجة «يني» في مدافن فقراء المسيحيين.

وأعلن» الطبيب التركي» لزبائنه في عيادته، أنَّه – في نفس الليلة التي مات فيها «يني» – كان صاعدًا لدرجات الدرج، فشاهد «سميرة» تهبط من شقة «يني»، وأنَّ الولد اليهودي رآها كذلك، فقد فتح شقتهم ليشتري أشياء كلفه أبوه بشرائها، فوجد سميرة تسرع في الهبوط في حذر لكي لا يراها أحد.

قال الطبيب التركي إن «يني» أفرط مع سميرة، كان ينوي أن يودع هذه الحياة، ويبدأ من الغد – بعد دخوله الإسلام – حياةً جديدة لا زنا فيها.

t.me/qurssan

بیت «لیلی عزیز»

t.me/qurssan

(١)

اشترت «ليلى عزيز» لوازمها من (بيت الأزياء الراقية)، واقتربت من «الخزينة» لتدفع ثمن ما اشترته، كانت «خيرية» تجلس فوق مكتبها الصغير.

«ليلى» تعرفها منذ سنوات طويلة، لحقتها بمدرسة (الطائفة الإسرائيلية) كانت «ليلى» أصغر منها ومن «نجوى» اليهودية.

تعرف «ليلى» حكاية «خيرية» مع «فاطمة الشيخ»، وتنافسهما على «عبد القادر» – لاعب الكرة بـ(نادي السُواحل) – كل سكان بحري يعرفون حكاية «فاطمة الشيخ»، خاصة عندما كتبت الصحافة عن انفجار السيارة التي كانت تركبها مع «عبد ربه الفوال» – رئيس دولة «..... السابق».

ما أدهش «ليلى» هو تغيّر «خيرية» بهذا الشكل، فقد امتلأ وجهها وجسدها بشكل ملحوظ.

ابتسمت «ليلى» لها، لم تلحظ «خيرية» ابتسامتها، فقد كانت مشغولة بحسابات المشتريات.

قدمت «ليلى» النقود، فأمسكتها أصابع «خيرية» دون النظر لوجهها، فسعلت «ليلى» لكي تنبهها، قالت «خيرية» بآلية:

– خمسة وأربعون جنيها و.....

– كيف حالك يا «خيرية»؟

نظرت إليها وصاحت فرحة:

– «ليلى عزيز»، معذرة لم ألحظك.

t.me/qurssan

- تركتك «نجوى» وحدك.
- عقبال أملتك، تمتلك الآن أكبر مطعم أسماك في (الإسكندرية).
- أتابع نجاح أختك «صبرية»، صارت الآن أشهر وأهم راقصة في مصر.

دفعت «خيرية» المبلغ المتبقي لها، قائلة: سبحان العاطي.

وضعت «ليلى» النقود في حقيبة يدها استعدادًا لاستلام ما اشترته والعودة إلى البيت، سألتها «خيرية» بصوت مرتفع:

- ما زلت في شركة الورق؟
- لو أردت أي خدمة، فأنا تحت أمرك.

تابعتها «خيرية» وهي تضم الأكياس الكثيرة بيديها، وتعلق الحقيبة في أصابع يدها.

شردت «خيرية»، وتنهدت في أسى، فـ «ليلى» مازالت جميلة ورشيقة.

فوجئت «خيرية» بزبائن كثيرين يقفون حولها بنقودهم.

اكتفت «خيرية» و«نجوى» بشهادة مدرسة (الطائفة الإسرائيلية)، بينما أكملت «ليلى» دراستها، والتحقت بكلية الآداب - قسم اللغة العربية - فهي من أسرة ميسورة، جدها «منصو عزيز»، صاحب أكبر وأشهر مخبز في (حي بحري)، وكان صديقًا لـ «محمود فهمي النقراشي» - الذي يجيء إلى (حي بحري) من أجله يجالسه أمام المخبز، وقتها كان «النقراشي» مدرسًا بمدرسة (الجمعية الخيرية الإسلامية).

***

«خالد» - شقيق «ليلى» الأصغر - يلعب كرة القدم بـ (نادي السَّواحل)، الكرة عطلته عن دراسته، فتطوع في الجيش بالإعدادية. هو الآن صديق للكابتن «عبد القادر» الذي يأتي إلى بيتهم كثيرًا، لم يعد «عبد القادر» لاعبًا في نادي السواحل، وإنما عينوه مدربًا وإداريًا للنادي.

t.me/qurssan

السنوات تمر – يا «ليلى» – عليكِ، أصبحتِ سكرتيرة لرؤساء الشركة، أول رئيس عملتِ معه، تم ترقيته ونقله لشركة أكبر وأهم، بعد أقل من ثلاث سنوات، وجاء غيره وغيره، وأنتِ باقية في مكتبك، تنتظرين قدوم رؤساء شركة جدد.

رأت «ليلى» «عبد القادر» في مباريات كرة القدم، عندما يلعب ناديه – السواحل – مع الأهلي أو الزمالك، ويذيعون المباراة في التليفزيون. كان خالد – أخوها – يصيح فرحًا عندما تقترب الكاميرا منه. لكنَّ «ليلى» لم تتبينه جيدًا، إلا عندما جاء لزيارتهم لأول مرة.

أراد الكثير من شباب الشركة أن يتزوجها لكنَّها كانت ترفض بإصرار، والسنوات تمر سريعًا، إلى متى ستبقى بلا زواج؟! «نوال» التي تعمل مع «خيرية» في (بيت الأزياء الراقية)، تسكن في البيت الذي تمتلكه أسرة «ليلى عزيز»، فكانت تحكي لها عن «خيرية» التي صارت مهمة في العمل، فهي التي تحصِّل نقود المشتريات. كما أنَّها تزوجت من نائب المدير.

***

اقتربت «نوال» من «خيرية» وهي منشغلة بعملها، همست لها:

– ألا ترين الكابتن «عبد القادر» ؟

تدهش «خيرية» من حديثها المفاجئ، فما الذي ذكرها به، ومن أدراها أنَّها كانت تحبه، ومازالت مهتمة به، قالت:

– ومن ذكَّرك به؟!

– إنَّه يأتي كثيرًا إلى بيتنا.

أوقفت «خيرية» آلة الخزينة وصاحت مندهشة:

t.me/qurssan

- وما الذي يدخله بيتكم؟

- إنَّه يزور أسرة «الحاج منصور عزيز»، أصحاب البيت الذي نسكنه.

- لماذا؟!

- هو صديق ابنهم «عزت» الذي يلعب الكرة في نادي السواحل.

فردت «خيرية» جسدها الممتلئ، وفردت ذراعيها المتلئتين بالغوايش الذهبية الكثيرة، وتأوهت في أسى: زمان.

ظلت «خيرية» شاردة طوال الوقت، «ليلى» جميلة وما زالت رشيقة، وقد يعجب «عبد القادر» بها ويطلب الزواج منها، رمت القلم من يدها في يأس.

ما هذا النحس الذي يطاردها؟، أفي كل يوم تبتلي بمنافس يأخذ «عبد القادر» منها؟!

ما هذا الذي تفكر فيه، مالها ومال «عبد القادر» وقد تزوجت؟!

لقد أعجب مدير المحل بها، كان يستدعيها كلما جاء سياح لزيارة المحل لإجادتها للغة الفرنسية، وجعلها تحل محل «نجوى» اليهودية مثله على الخزينة، وكان يسألها عن أختها «صابرين» فكل العاملين في المحل يعرفون أنَّها أخت «صابرين» الراقصة المشهورة.

جلسة «خيرية» المستديمة على الخزينة، جعلت وزنها يزداد.

واقترب «ممدوح» - نائب المدير - منها، عارضًا عليها الزواج فوافقت بعد أن يأست من «عبد القادر» .

زوجها مشغول دائمًا - لا يعود إلى البيت إلا بعد منتصف الليل، فهو بارع في المحاسبة - كل العاملين يشهدون له بذلك - بعد انتهاء عمله، تعود - هي - إلى سكنها، شقَّة في بيت يمتلكه زوجها مع أخويه، لكنَّه

t.me/qurssan

لا يعود معها، يتناول سندوتشًا ويذهب لعمل آخر، فهو يدير أعمال مقاول كبير- يمتلك عمارات كثيرة في (الإسكندرية) - زوجها «ممدوح» هو الذي يشرف على بناء عماراته وتسكينها، المقاول الكبير يدفع له بسخاء، فلولاه ما عرف شيئًا عن أملاكه.

تعرف «خيرية» أن ما يكسبه زوجها من عمله مع المقاول، أضعاف راتبه من (بيت الأزياء الراقية).

وأختها «صبرية» مشغولة بعملها، أفلام كثيرة، ورقص كل ليلة في (كازينو) مشهور بـ (القاهرة) غير حفلات أضواء المدينة.

مرت السنوات ولم تنجب «خيرية»، وزوجها رغم تعبه في أعماله، دائم الابتسام، تعامله بخشونة وعصبية، وعندما تصل للبيت، تغلق الشُّقة عليها، وتخلع ملابسها وتسرع للحمام، تزيل العرق عن جسدها، وتتناول طعامها في ملل، ثم تجلس في (الفراندة) تتابع الشارع وما يحدث فيه، تسمع صوت زوجة شقيق زوجها وهي تحدث زوجة الأخ الآخر، تضحكان وتتمازحان، و«خيرية» حزينة، فما الذي جعل «نوال» تذكرها بـ «عبد القادر» ؟! يقولون إنَّه لم يعد يلعب الكرة، وناديه - السواحل - تغير اسمه، صار «حرس الحدود»، ولم يعد يلعب في الدوري الممتاز.

«ممدوح» زوجها يعدها بترك هذا البيت، والسكن في شقَّة بعمارة كبيرة بأسانسير بشارع (العطارين) يمتلكها المقاول الكبير.

نظرت «خيرية» إلى أسفل، تابعت زوجة شقيق زوجها الأكبر وهي تحكي ما يحدث بينها وبين زوجها في الليل بصوت مرتفع يسمعه المارة الذين يسيرون بجوار البيت.

***

t.me/qurssan

تعود «ليلى عزيز» من عملها بعد الرابعة بقليل، أمها ما عادت قادرة على أعمال البيت، فتستعين بخادمة تدفع «ليلى» أجرتها، تنام «ليلى» بعد الغداء مباشرة، يأتي «عبد القادر» للسؤال عن أخيها «عزت»، تسمع صوته وهي في حجرتها، أمها تدعوه للدخول بإلحاح، تقول له:

- ذهب عزت لشراء لوازم البيت، وسيعود خلال دقائق.

يدخل الشُقة في خجل، والأم تردد من وقت لآخر:

- أهلا بك.

يجلس في الصالة الواسعة، تخرج «ليلى» إليه، تصافحه في حياء، تسأله عن ناديه، يرد في أسى:

- ضقت به، أفكر في ترك العمل في السواحل.

- وهل يمكن ذلك؟!

- لقد قضيت المدة المحددة للتطوع.

تأتي الخادمة بكوب الشراب، تقول ليلى:

- لماذا لا تعمل بشركتنا؟

- وماذا سأعمل بشركة ورق؟

- تشرف على النشاط الرياضي، كرة القدم والمصارعة و.....

قبل أن يجيبها، جاء «عزت»، فأخذه ودخلا حجرته، قال «عبد القادر» له:

- أختك تريدني أن أعمل بشركة الورق.

تحمس «عزت» لهذا، قائلًا:

- عند انتهاء فترة التطوع سأجعلها تقدم لي في شركتها.

t.me/qurssan

واستطاعت «ليلى» أن تعيّنه بالشركة مشرفًا على النادي والفرق الرياضية، أقنعت رئيس الشركة بأن يتعاقد معه بمبلغ كبير.

° ° °

اقتربت «نوال» من «خيرية» قائلة:

- «عبد القادر» ترك (نادي السَّواحل) ويعمل الآن بشركة الورق.

أحست «خيرية» بما يحدث، وتوقعته، «ليلى عزيز» هي التي سعت وعيّنته بشركتها.

ماذا تريد «ليلى» منه، إنَّه يكبرها بسنوات كثيرة و«ليلى» جميلة ويمكنها أن تتزوج شابًا أصغر منه وأهم.

تابعت «خيرية»: «نوال» التي سارت نحو زبون يريد أن يتفحص قميصًا ليشتريه، أحست بالكره لها، فكأنها تريد أن تغيظها بأخبارها هذه، فهي تعرف مدى حبها وتعلقها بـ «عبد القادر» ، ففي كل يوم تأتيها بأخبار تضايقها.

أغلقت «خيرية» درج النقود وأسرعت بجسدها الممتلئ باحثة عن زوجها، وجدته في مكتبه وحده، صاحت فيه في غضب:

- ألم تعدني بشقَّة بعيدة عن شقق أخويك؟

صاح مندهشًا:

- وما الذي ذكَّرك بهذا الآن؟!

صاحت غاضبة وهي تدق مكتبه في عنف:

- مللت البيت، ومللت زوجتي أخويك.

اندهش، فهما في العمل الآن، فما الذي حدث لعصبيتها، قال:

- الصنايعية يعملون في الشَّقة، أيام قلائل وسننتقل إليها.

t.me/qurssan

نظرت إليه، ودقت الأرض في عصبية ثم عادت إلى مكتبها، فتحت درج النقود وانشغلت بالعمل.

***

تأتي سيارة الشركة إلى (شارع صفر)، تنتظر «ليلى» بجوار باب بيتها، ويسرع السائق لفتح الباب لها، وسيارة أخرى تنتظر الكابتن «عبد القادر» ، من حسن حظه أنَّ رئيس الشركة يهوى الرياضة لذا كان يطلبه كل يوم، فيجلس في مكتب «ليلى»، تُقدَّم إليه المشروبات، ويدخل لرئيس الشركة، يتحدثان عن الكرة، ومن شدة إعجابه به أوكل إليه الإشراف على حراسة الشركة وعلى السعاة والبستانيِّن، وكان «عبد القادر» لا يهدأ، طوال الوقت يعمل، يجتمع بالفرق الرياضية، وكون فريقًا للكشافة، وفي المساء يذهب لنادي الشركة بـ (شارع سعد زغلول) يشرف على إقامة الحفلات التي يحضرها رئيس الشركة، وتحضرها ليلى، توقع الكثير - في الشركة - بأنّه سيتزوج «ليلى عزيز» في القريب.

انتقلت «خيرية» إلى شقَّتها الجديدة والعالية في (شارع العطارين)، وأطلت من فراندتها لتراقب السيارات المتلاحقة في الشارع الكبير والواسع، لكنَّها لم تهنأ بها أو تسعد، فزوجها أنهكه العمل، أموال كثيرة يكسبها، لكن بلا فائدة، فليس عنده وقت حتى للخروج معها.

علمت «خيرية» أنَّ «عبد القادر» يذهب كل مساء إلى نادي الشركة بـ(شارع سعد زغلول) فغامرت وذهبت إليه.

تابعها «عبد القادر» في دهشة، فقد تغيرت كثيرًا، آخر مرة رآها فيها كانت في شقَّة أختها «صابرين»، قبل أن تتدخل الشرطة، وتغلق الشَّقة، فيضطر ألا يذهب إليها ثانية.

t.me/qurssan

رحَّب «عبد القادر» بها، وطلب لها كوبًا من العصير، سألها عن أخوتها، وتذكرا ما كان يحدث زمان، «فاطمة الشيخ» التي لا يعرف أحد مصيرها، هل ماتت، أو أدخلوها مصحة عقلية، فالإشاعات كثيرة عنها، قالت «خيرية» له:

- ماذا تريد «ليلى عزيز» منك؟

ضحك بصوت مرتفع:

- إنها أخت شريفة، كما أنها أخت صديقي «عزت».

قالت بلا حياء، وفي هيام:

- ما زلت أريدك يا كابتن.

ضحك ثانية حتى لفت نظر رواد النادي الدائمين:

- تريدينني رغم زواجك؟!

- بل أريدك مهما حدث.

انصرف عنها بمتابعة العمل في النادي. قالت:

- «ليلى عزيز» فعلت كل هذا لتتزوجك.

- هي الآن سكرتيرة رئيس الشركة ولو أرادت زوجًا أغنى مني، لن تغلب.

وقفت منهية اللقاء:

- حتى لو تزوجتها، لن أتركك.

وقف «عبد القادر» وأمسك يدها:

- اخفضي صوتك، رواد النادي يتابعونك باهتمام ودهشة.

- هل تسمح لي بزيارتك ثانية؟

- أهلا بك في أي وقت.

* * *

t.me/qurssan

اتصلت «ليلى عزيز»- تليفونيًا - في الصباح بـ «عبد القادر» ، قالت مازحة: ماذا فعلت مع «خيرية» ليلة أمس؟

صاح مندهشًا:

- ألا يخفى عليك شيء؟!

ضحكت قائلة:

- أرجو أن تأتي إليَّ لتحكي لي.

أسرع إليها، قالت:

- «خيرية» لم تعد جميلة، فما الذي دفعك إليها؟!

- صدقيني، ليس بيني وبينها شيء.

- هذه أمور لا تعنيني.

- لكن يهمني أن يكون رأيك فيّ غير هذا.

أحس بأنَّها حزينة، فقد صاحت غاضبة في الساعي دون سبب.

اقترب منها قائلًا:

- أرجو ألا تسيئي الظنَّ بي، فأنا أقدر كل ما فعلته من أجلي.

ثارت غاضبة:

- إنَّني لا أتأخر عن تقديم الخدمات للآخرين، وأنت مثل غيرك.

- أرجوكِ أخفضي صوتك.

فأكملت:

- لو ظننت أنَّي فعلت هذا لكي.....

أحنى رأسه خجلًا، فأكملت:

- إنَّني أكبر من أن أفعل هذا.

***

t.me/qurssan

حدثت تغيرات عجيبة في شركات القطاع العام.. فكان رئيس الشركة موظفًا مثل سائر الموظفين، يتقاضى مرتبًا يقل كثيرًا عن الألف جنيه، فإذ بـ «عاطف صدقي» - رئيس الوزراء - يحدث زلزالًا في القطاع العام، فدعا رؤساء الشركات الذين أحيلوا للمعاش، ويقضون أوقاتهم في النوادي أو مقاهي المعاشات ليلعبوا الطاولة والدومنو، دعاهم لكي يعودوا رؤساء للشركات، واستدعى لشركة الورق شابًا كان مديرًا للإنتاج في شركة مصر للكيماويات، وعينه عضوًا منتدبًا، وضم لمجلس الإدارة أساتذة في كلية العلوم، يأتون للشركة وقت اجتماع مجلس الإدارة، ويتقاضون مكافأة اجتماعات دون أن يقولوا كلمة، أو يكتبوا حرفًا، وقدَّر «عاطف صدقي» لرئيس الشركة والعضو المنتدب مرتبًا عاليًا ونسبة من الأرباح.

يقولون: إنَّ «عاطف صدقي» فعل هذا في شركات القطاع العام لينهكها، توطئة لبيعها.

العضو المنتدب هو الذي يدير كل أمور الشركة، واستدعي «ليلى عزيز» وحذرها من أن تطلع أيًا من أعضاء مجلس الإدارة على أي أوراق أو مستندات.

يأتي العضو المنتدب مبكرًا ويلف المصنع كله، يتفقد كميات الدشت - الخامة الرئيسة في العمل - ولا يهتم بأي شيء آخر، لا نشاط فني ولا رياضي، فلم يستدع «عبد القادر» لمكتبه - كما كان يفعل من سبقه - وانشغلت «ليلى» بالعمل والتحضير لاجتماعات مجلس الإدارة التي تحدث كثيرًا في هذه الأيام.

وسافر العضو المنتدب إلى ألمانيا، فجاء رئيس الشركة - وهو رجل مسن- وشغل حجرته - وطلب من «ليلى» بعض الملفات، فجاءته بها.

t.me/qurssan

فأخذ يتفحصها ويكتب ملاحظاته عنها، وعندما عاد العضو المنتدب واكتشف هذا، ثار واستدع «ليلى» ولامها وعنفها، ثم أصدر قرارًا بنقلها من مكتبه، وعين مساعدتها سكرتيرة له، فتغيّر حال «ليلى» – فقد فقدت قوتها، وانتقلت الأهمية لمساعدتها، التي اختارتها «ليلى» لتعيّنها في عملها، وهي فتاة صغيرة حاصلة على دبلوم تجارة.

حكى الناس في الشركة عمًا حدث لـ «ليلى عزيز»، فبدأوا يعاقبونها بأثر رجعي، فمهندس الجراج – مثلًا – يوحي للعاملين معه بأن يختاروا لها سيارة تخرج دخانها للداخل، انتقامًا منها.

وطلب العضو المنتدب ملف «عبد القادر» ، فحصه، وقال للمدير الإداري: الغ التعاقد معه، الشركة ليست في حاجة إليه.

ثم ردد لنفسه بصوت مرتفع: بلا رياضة، بلا كلام فارغ.

ففقد «عبد القادر» كل شيء، فمكث في بيته حزينًا، حاول العودة لتدريب ناديه القديم، فوجدهم قد جاءوا بمدرب آخر، فظل في بيته تاركا لحيته تنمو – حتى جاءته «خيرية»، دقّت الباب، فقام متكاسلًا، أراد أن يغلق الباب ليمنعها من الدخول، لكنّها دفعته في عنف، ودخلت، صاحت:

– ما الذي فعلته بنفسك؟

– أرجوكِ، أنا لا احتمل كلمة منك.

شدت شعره المهوش في عنف: الدنيا لم تنته.

خلعت ملابسها وغسلت الأواني المتسخة والمتراكمة في المطبخ. وأعادت ترتيب الأثاث، وظلّ يتابعها في صمت وأسى، صاحت:

– ادخل الحمام، استحم واحلق لحيتك.

t.me/qurssan

لم يقم من مكانه، فشدَّته حتى أوقعته على الأرض، فاضطر أن يستجيب، قالت وقد جلست على سريره:

- هل يمكن أن أتناول الغداء معك؟

لم يجبها وهو في الحمام. فصاحت:

- سنخرج لتناول الغداء بالخارج.

خرج من الحمام، وارتدت هي ملابسها ثانية قائلة:

- استعد للخروج الآن.

مشط شعر رأسه الذي طال، قالت:

- زوجي يعمل مع مقاول غني جدًا، يمكنه أن يجد لك عملًا عنده.

لم يجبها، لكنه سار معها دون اعتراض، دخلت المطعم وظلَّ هو صامتًا، طلبت الطعام، وتحدثت مبتسمة سعيدة، قالت له:

- بعد تناول الطعام ستذهب لشقتي.

صاح مضطرًا:

- شقتك؟!

وضعت قطعة لحم في فمه مداعبة:

- لا تخف، فإنَّني أسكن شقَّة واسعة وعالية، وأظل بها وحدي حتى يعود زوجي آخر الليل.

وذهب لشقتها، استجاب لما تريد دون اعتراض، لكنَّه لم يكن متحمسًا ولا سعيدًا، يظل معها لقبل الثانية عشر بقليل خشية أن يأتي زوجها فجأة، لم تكن خائفة من أن يضبطها زوجها معه. لكنَّ «عبد القادر» كان يرتعش من الخوف، سألها يومًا:

- أسأظل هكذا بلا مورد رزق؟

t.me/qurssan

صاحت في نزق:

- ما الذي ينقصك، أعطيك من المال ما تشاء.

- لكنني غير سعيد.

- أنت جاحد.

- أرجوكِ حدثي زوجك ليجد لي عملًا لدى مقاوله الغني جدًا.

***

زاره «عزت» في شقَّته هذا الصباح، لامه لأنه ترك الرياضة، قال له:

- لقد زاد وزنك، لم تعد «عبد القادر» القديم.

- ولماذا أعود لما كنت؟!

- أعلم بما تفعله مع «خيرية».

- وهل وجدت غيرها وامتنعت؟!

- يا كابتن، الكل يتحدث عما فعلته بنفسك.

- دعك مني الآن، وحدثني عن «ليلى» أختك.

- لقد قبلت بزواجها من قريب لنا كان يلح في الزواج منها.

شرد بعض الوقت وصاح: ربنا يسعدها.

أكمل «عزت» قوله: وسوف تقدم استقالتها من العمل بالشركة.

لم يجبه بشيء.

وقف «عزت» قائلًا:

- لابد أن تعود للرياضة يا كابتن.

- كل شيء انتهى، حتى نادينا السواحل، انتهى.

- يمكنك تدريب فرقة في بلد عربية.

t.me/qurssan

ضحك مستهزئًا ولم يجبه بشيء، لكنّه في الصباح ذهب لنادي السواحل، قابل زملاءه القدامى – الذين التفوا حوله فرحين، نزل أرض الملعب وجرى معهم، أحس بتعب بعض الوقت، لكنَّه استمر يجري، وينط الحبل، كان يلهث، لكنَّه أحس بسعادة أفتقدها منذ وقت طويل.

***

ذهبت «خيرية» إلى شقَّته، ضغطت على جرس الباب طويلًا دون جدوى، فدقت الباب بيديها في عنف، فتأكدت بإنَّه في الخارج، هبطت درجات السلم حزينة، عادت إلى شقتها، نظرت من الفراندة الواسعة، علها تراه آتيًا من بعيد، لكنّه لم يأت. رددت لنفسها:

– لو ابتعد عني، سأموت.

ارتمت فوق سريرها وبكت، عندما جاء زوجها كانت مستغرقة في النوم، في الصباح قالت لزوجها:

– لن أذهب للعمل، أحس بتعب في جسدي كله.

تابعها دون تعليق، بعد أن خرج ارتدت ملابسها على عجل وذهبت لبيت «عبد القادر» . دقّت الباب بيديها، فأسرع بفتح الباب حتى لا يأتي الجيران لمتابعة ما يحدث، صاحت وهي خارج الشَّقة:

– تهرب مني يا «عبد القادر» ؟!

أفسح الطريق لها لكي تدخل:

– أرجوكِ، ادخلي حالًا.

– لم أذهب للعمل اليوم من أجلك، ولن أسمح لك بأن تتركني.

خلعت فستانها وأسرعت إلى المطبخ لتغسل الأواني، ونظفت الشُّقة ورتبتها.

t.me/qurssan

أخذت تلهث فوق الفراش، ثم أخرجت الأطعمة التي اشترتها من أجله قائلة:

- سنتناول الطعام معًا.

جلست في مواجهته وتناولا الطعام معًا، قال:

- متى ستحدثين زوجك من أجلي.

- حدثته، ومازال يبحث لك عن عمل.

- لدي إحساس بأنَّك لا تريدين أن أعمل.

- إنَّني مندهشة، ما الذي ينقصك، إنَّني أعطيك أموالًا لا يمكن أن تحصل عليها لو عملت.

- لكنَّني أريد أن أعيش من عملي.

- اكمل إفطارك، وسأحدث زوجي ثانية اليوم.

تناول الطعام صامتًا، فقالت:

- أين قضيت وقتك، هل ذهبت لـ«ليلى عزيز»؟

- اطمئني، فهي مخطوبة الآن - وستتزوج في القريب.

- «عبد القادر» لن أسمح لأي امرأة أن تأخذك مني.

°°°

ذهب «عبد القادر» لنادي السواحل، ارتدى ملابس التمرين، وعاد لتدريباته.

اقترب «عزت» منه قائلًا:

- نادي عربي كبير في حاجة لمدرب.

- ألا بد من السفر؟!

- هذا هو الحل مؤقتًا.

t.me/qurssan

لم يجبه وظل شاردًا، فقد ضاعت «ليلى عزيز» منه، و«خيرية» مصرة على ألا تتركه لحاله، طاردته وجوه كثيرة مرت بحياته، «فاطمة الشيخ» و«خيرية» واختها «صبرية» و«ليلى عزيز».

خرج من التمرين إلى بيت «خيرية» التي تنتظره على الغداء.

بينما هي متعلقة برقبته، قال لها:

- سأترك مصر لأدرب فريقًا عربيًا.

دفعته بساقيها حتى ألقته على الأرض، وصاحت سابة:

- تريد أن تتركني يا ابن الـ.....

صاح بها:

- اخفضي صوتك، لا أريد فضائح.

- فضائح؟! لو أصريت على ذلك، سأقتلك.

جلس على حافة السرير، وارتدى ملابسه، فضمته إليها في رفق:

- ابق معي، وسأعطيك نقودًا لعمل مشروع سيغنيك، سأعطيك كل ما أملك.

لم يجبها، أكمل ارتداء ملابسه وخرج، فرمته بحذائها القريب من السرير وسبته، سمع صوت صراخها وسبابها وهو يهبط درجات السلم.

***

ألتفت صديقات «ليلى عزيز» حولها، وجيرانها، كن يغنين لها، واقترب خطيبها المهندس «حسن»، قدمت «عبد القادر» إليه، فتابعته الفتيات، تذكرن ما كتبته الصحف عنه أيام كان يلعب في نادي السواحل.

كانت «ليلى» تضحك سعيدة بزوجها المهندس الناجح، وبطل السباحة المعروف في (حي بحري).

t.me/qurssan

في الصباح استيقظ «عبد القادر» على دقات «خيرية» على الباب، أسرع إليها وادخلها شقَّته متوسلًا بأن تخفض صوتها.

فتحت حقيبة يدها واخرجت نقودًا كثيرة قائلة:

- آلاف الجنيهات لاقامة مشروع تجاري.

وأخرجت مجموعة كبيرة من الحلي:

- بعها، المهم ألا تتركني.

فأعاد النقود والحلي إليها قائلًا:

- لقد تعاقدت على تدريب الفريق العربي وانتهى الأمر.

فصفعته على وجهه في عنف وهي تصرخ وتبكي:

- يا ابن الكلب.

شدَّها من يدها وأخرجها من الشَّقة وأغلق الباب خلفها. فصاحت وصرخت حتى فتح الجيران أبوابهم، وتابعوها وهي تهبط الدرجات باكية وغاضبة.

في الصباح، حمل «عبد القادر» حقيبتة وسافر للبلد العربي ليدرب فريقه.

t.me/qurssan

(٢)

ارتبطت «إحسان» بـ «ليلى عزيز» التي تكبرها بسنوات قليلة، وتعاملها «إحسان» باحترام شديد، فتقف عندما تراها آتية.

وترتبط «ليلى» أيضًا بـ «بشرى» التي تسكن حجرتين فوق سطح البيت.

كثيرًا ما تأتي «إحسان» و«بشرى» إليها، فتقدم إليهما الشراب، وتحدثهما باعتزاز عن عملها المهم بشركة الورق.

«أم إحسان» مشغولة دائمًا بحفلات الزار التي تقيمها كل يوم تقريبًا، إما في شقَّتها بالدور الأرضي، أو لدى المسوسين في بيوتهم، كما أنَّ «أم بشرى» مشغولة بإعداد المكرونة التي يبيعها زوجها على ناصية الشارع.

«إحسان» طويلة ونحيفة وذات عينين ضيقتين، تلبس نظارة منذ طفولتها، عصبية، سرعان ما تثور وتصرخ يقولون: إنَّها « بنت سابعة » ولدتها أمها في سبعة أشهر فقط.

بينما «بشرى» قصيرة وذات عينين عسليتين جميلتين، وهادئة في تصرفاتها، تحكي «إحسان» لهما عمَّا تمر به في حياتها، و«بشرى» متحفظة، وكل كلمة تخرجها من فمها بحساب وبعد تفكير وتروٍ.

حكت «إحسان» عن حبها الشديد لـ «أحمد عواد» مدرس اللغة الإنجليزية في مدرستها التجارية – كان غاية في الأناقة، وأقل طولًا منها.

اهتمت به بشكل وضح لكل طالبات الفصل، وشاع هذا عنها في المدرسة كلها، وقد رأت طالبة جميلة تداعبه، وهو يضحك معها، فثارت وبكت وأغمى عليها، فجاء الناظر من حجرته القريبة من الفصل، فعرف

t.me/qurssan

الحكاية، وكان يداعب المدرس ويذكر له حب «إحسان» وولعها به، حتى ضاق المدرس بهذا الاهتمام فصرخ فيها أمام كل طالبات الفصل، فبكت وأغمى عليها (وهي كثيرًا ما يغمى عليها) مما أضطر الناظر لأن ينقلها لفصل آخر لتقابل مدرس إنجليزي مسن، لا يصلح لأن يكون فتى أحلامها، وظلت متعلقة بـ «أحمد عواد» تسأل عن أخباره من بعيد، حتى تركت المدرسة ونسيته بالتدريج.

حصلت «إحسان» على دبلوم التجارة بصعوبة، فقد رسبت أكثر من مرة في امتحان القبول الإعدادي، واضطرت أمها أن تلحقها بمدرسة إعدادية خاصة، وعندما حصلت على الإعدادية، كان سنها لا يصلح للثانوي العام، فأخذت «ليلى عزيز» أوراق تخرجها وقدمتها لإدارة التوظف فعينوها فورًا، فالكل يتمنى رضاء «ليلى»، ليس حبًا فيها وإنما لأنها سكرتيرة رئيس الشركة، وعملت «إحسان» موظفة في الحسابات.

«جابر» – والد «إحسان» – كاتب في (مكتب صحة المنشية)، لكنَه له في الفن – فهو يهوي كتابة الزجل، ويحرص على مجالسة الشعراء في (قهوة الكريستال على البحر) وعندما يلقي أشعاره، يقف ويلوح بيديه، ويصرخ، حتى يلتف زبائن القهوة حوله، مما يزيده حماسًا، ويضحكون من قفشاته وسخريته من زوجته الكودية.

تعرف «فضيلة» – زوجته – ما يكتبه ويرويه عنها، فلا تعبأ، فهي وبناتها الأربعة لا يهتمون به، ويسخرون من تصرفاته.

الرجل راتبه قليل، و«فضيلة» أنجبت الأربع بنات أملًا في أن يرزقها الله بولد – وجاء الولد – رمضان – أخيرًا. لكنَّه غير طبيعي، عيناه تتحركان حركات سريعة، وجسده كله يرتعش، تضعه أمه فوق (كنبتها

t.me/qurssan

العربي) بالساعات فلا يتحرك ولا تسمع له صوتًا، فأطلقوا عليه لقب «شيخ» كعادتهم في الأحياء الشعبية.

«فضيلة» طويلة، بينما «جابر» - زوجها - قصير وممتلىء، وكرشه بارز يطرد دائمًا قمصانه لخارج جسده. وجاءت بناتها الأربعة طوال مثلها.

يهرب «جابر» بابنه «رمضان» من البيت، يمسكه من يده، ويذهب به إلى (قهوة الكريستال) أو (لقصر الأنفوشي) القريب، فيضحك الولد ببراءة تجعل كل الرواد يتابعونه وهم يضحكون.

كثيرون أشاروا على «جابر» بأن يمثل - فقد خلق للتمثيل، واصطحبه أحد رواد المقهى إلى إذاعة (الإسكندرية)، حتى أصبح ممثلًا. ولم يدخل باب الإذاعة إلا وابنه «رمضان» في يده، فدقات طبلة زار «فضيلة» تثير الولد، وتجعله يتشنج، ويزداد ارتعاش عينه وجسده.

يحكي «جابر» لأصدقائه على (قهوة الكريستال) إنَّ ما تفعله «فضيلة» - زوجته - يؤثر على ابنه وبناته، فهي تستدعي كل ليلة، العفاريت، فينتشرون في الشَّقة، يختبئون في الحجرات ودورة المياه وفي الصوان وداخل الأدراج، وما أن يجدوا شخصًا أمامهم، حتى يسرعوا ويختبئوا داخله.

البنت الكبيرة «منى» فرت بزوجها إلى الكويت هربًا من عفاريت أمها، بينما البنات الثلاث - الباقيات - تمكنت العفاريت منهن، وتمكنوا أكثر من الولد المسكين «رمضان» لأنه الأضعف.

تصعد «بشرى» إلى سطح البيت، والدها «مرزوق» يبيع المكرونة قريبًا من فرن «عزيز»، زوجته «صالحة» طويلة وعريضة وذات تقاطيع تشبه تقاطيع الرجال، هي التي تسلق المكرونة، تضع البوابير الكثيرة فوق

t.me/qurssan

السطح، وتهرس الطماطم الكثيرة بقدميها حتى يحمِّرا، ثم تضع «كروانة» المكرونة على رأسها وتهبط بها درجات سلم البيت بأدواره الأربعة، وتسير حافية فوق الرصيف، بقامتها المشدودة لتضع المكرونة في مكانها على العربة.

حصلت «بشرى» على الثانوية العامة والتحقت بـ (كلية التجارة) غسلت «صالحة» قدميها من آثار عصير الطماطم ونزلت لـ «ليلى عزيز»، رجتها أن تعين ابنتها «بشرى» في شركة الورق كما عينت «إحسان» ابنة «فضيلة»، فأخذت «ليلى» الأوراق وقدمتها لإدارة التوظيف، فعينوها كاتبة في الشئون القانونية.

تركب «إحسان» الترام وتذهب إلى (شارع سعد زغلول) حيث مكتب الشركة، بينما تركب «بشرى» الأتوبيس من أمام مستشفى الأوقاف ليصل بها إلى المصنع في (الطابية). لكن «ليلى» تأتيها سيارة ملاكي، تنتظرها بجوار باب بيتها، فقد تم ترقيتها أكثر من مرة، حتى أصبحت مديرة.

تحرص «إحسان» على أناقتها، وترسل السعاة لشراء إفطارها من (محل ديليس) الذي يقع دكانه أسفل العمارة التي تشغلها إدارة الحسابات.

قلقت «فضيلة» على ابنتها «إحسان»، فهي الوحيدة من بناتها التي لم تتزوج للآن.

عملت «مني» - ابنتها الكبيرة - بمستشفى الأوقاف وتزوجت مدرسًا فلسطينيًا سافر بها إلى الكويت، و«نوال» التالية لها تزوجت من زميلها في (بيت الأزياء الراقية)، والصغرى عملت بالمدرسة الفندقية، مشكلتها إن حفلات زار أمها، قد تمكَّنت منها، فهي في حاجة إلى الزار من وقت لآخر، فترتعش ويغمى عليها، فيأتيها زميلها في العمل - وهو ملتحٍ -

t.me/qurssan

لمساعدتها، فيصفعها في عنف مردداً أنَّه لا يضربها هي، وإنما يضرب العفريت الذي يسكنها، وانتهى الأمر بأن تزوجها هذا الشاب لينقذها مما هي فيه، لأنَّه الوحيد الذي يعرف كيف يتعامل مع عفريتها.

وقد فوجئت الأسرة بالمهندس «حلمي» - الذي يعمل بمصنع الورق - يصعد درجات سلم البيت ومعه أسرته، «إحسان» تعرفه، فقد جاء كثيرًا لإدارة الحسابات ليسأل عن أشياء تخصه، ما الذي يأتي به إلى بيتهم؟!، ظنوه - أول الأمر - جاء ليخطب «ليلى»، فهي مناسبة له، وكانت المفاجأة أنَّه جاء ليخطب البنت «بشرى».

لا تدري «إحسان» كيف أحس المهندس «حلمي» بوجود «بشرى» وأعجب بها، فقد بلغها أنَّه يترك عمله بالمصنع ويذهب لزيارة الشئون القانونية من أجلها.

أحست «إحسان» بالغيظ. فـ «حلمي» مهندس كهرباء، تم ترقيته أكثر من مرة، ويركب الآن سيارة المديرين، تمنت «إحسان» لو تزوجها مديرًا. مثل جارتها القصيرة «بشرى» ففكرت فيما حولها من رجال، فلم تقتنع بأحدهم.

«إسماعيل» - موظف السكرتارية - يهتم بـ «إحسان»، يتودد إليها، يأتي للحسابات كثيرًا من أجلها بحجة تسليم المستندات، لكنَّه مجرد موظف بالثانوية العامة، قابلها في رحلة من رحلات الشركة التي يكون هو نجمها بغنائه ونكاته وقفشاته، الكل يضحك ويعجب به، فيما عدا «إحسان»، فهي لا تهتم بهذه التفاهات.

اقترب «إسماعيل» منها، داعبها، فصاحت فيه غاضبة، لكنَّه لم

t.me/qurssan

ييأس، بل كتب رقم تليفونه ودسَّ الورقة في يدها، فوضعتها في جيب جونلتها غير مهتمة.

في ذلك اليوم ذهبت «فضيلة» لإقامة حفل زار في بيت بعيد، وظلت «إحسان» وحدها، ونُقَّ الباب في عنف، فأسرعت لفتحه، فواجهها أخوها «رمضان» يصرخ ويرتعش، فقد أغمى على أبيه وهو جالس على (قهوة الكريستال)، فحمله بعض الرجال وأتوا به إلى البيت.

بكت «إحسان» مما زاد «رمضان» هلعًا وخوفا، فوضعت يدها في ملابسها، فوجدت الورقة المكتوب فيها رقم تليفون «إسماعيل»، فأسرعت لشقَّة «ليلى» واتصلت به، فجاء مسرعًا، أدخل والدها مستشفى الأوقاف، وظل مرافقًا له حتى الصباح.

جاءت أمها بعد انتهاء حفل الزار، وجاءت أختاها من بيتيهما إلى المستشفى، لكنَّ «إسماعيل» كان يفعل كل شيء، يأتي يوميًا إلى المستشفى، فتعامل الأطباء معه، فهو الرجل الوحيد بينهن.

قالت «فضيلة» لـ «إحسان»: لولاه لاحترنا ماذا نفعل؟

وقالت أختها الصغيرة: تزوجيه، فهو المناسب لك.

رددت لنفسها: «لكنَّه مجرد موظف صغير».

وعدن بوالدهنَّ إلى البيت، و«إسماعيل» معهن.

كان يزور والدها كل يوم – تقريبًا – يسمع أزجاله، ويحكي «إسماعيل» حكاياته المضحكة، فيضحك «رمضان» بصوت مرتفع، مما يسعد «إسماعيل» فيحكي حكايات أخرى ونوادر أخرى.

وضعفت «إحسان» وتزوجته، أسكنها في شقَّة بالدور الأرضي بالمساكن الاقتصادية. قريبًا جدًا من سير القطارات، وتزوجت «بشرى» من المهندس «حلمي»، فسكنت مع أسرته بـ (حي محرم بك) فوالده صاحب ورشة

t.me/qurssan

لصناعة الموبيليا، يعمل بها ولداه الآخران.

تذهب «إحسان» كل يوم لزيارة أمها، بينما يبقى «إسماعيل» وحده في الشُّقة، فهي تزداد أسى يومًا بعد يوم. فأحلامها كانت أكبر من هذا بكثير، وتأتي أختها «نوال» تنتظر زوجها وزميلها في العمل، والذي يقضي وقته على القهوة يدخن الشيشة التي يعشقها.

***

مر عام على زواج «إحسان» ولم تنجب، بينما البنت القصيرة «بشرى» أنجبت ولدين توأمان، هذا زاد أسى «إحسان». فجارتها تفوقت عليها في كل شيء، في زواجها، فقد تركت سكنها مع أهل زوجها وتسكن الآن في شقة بـ (فيكتوريا) كما أنَّها حصلت على بكالوريوس التجارة وتعمل بإدارة المراجعة، بينما «إحسان» مجرد موظفة صغيرة ما زالت.

زال أمل «إحسان» في زواج مهم يرفعها فوق جارتيها - «ليلى» و«بشرى»، وذلك عندما ضعفت وتزوجت «إسماعيل» لذا تتركه وحده في الشُقة وتقضي الوقت في شقَّة أمها، وليالٍ كثيرة تقضيها هناك، فينام فوق الفراش وحده.

***

صدر قرار وزاري بضم مصنع ورق صغير بـ (محرم بك) إلى (شركة الورق الكبيرة) ونقلوا «سيد» الموظف بالمصنع الصغير ليكون رئيسًا لقسم السجلات بالحسابات، كان طويلًا، وشديد البياض، دائم الانحناء على الأوراق أمامه، تابعته «إحسان» باهتمام، معظم موظفيه من النساء، أحست بأنَّه لا يتابع موظفيه وكأنَّه لا يريد أن يراهم، وهي لاهية عن كل شيء سوى متابعته والاهتمام به.

دارت الأحاديث بإدارة الحسابات عن «سيد» وحكى البعض عن

t.me/qurssan

علاقاته النسائية المتعددة، فقد أقام علاقة بموظفة بالشئون القانونية في شركة غزل كان يعمل بها، وعندما حملت منه، أراد أن يتخلى عنها، لكنَّها اشتكت لمديرها - وكان صعيديًا جادًا - فواجهه في عنف، واشتكاه لرئيس الشركة الذي استدعاه، وفرض عليه الزواج منها، ثم استدعاه ثانية وطلب منه البحث عن عمل في شركة أخرى، فهو لا يريده في شركته، فعمل بـ (مصنع الورق الصغير) بـ (محرم بك).

اقتربت «إحسان» منه، انحنت وهمست إليه بكلمات لم يسمعها جيدًا، ثم عادت لمكانها.

تتبعها باهتمام، فوجدها تنظر إليه، وما إن انشغل بعمله حتى عادت إليه ومعها «استك رفيع» وداعبت به وجهه فابتسم وعاد لعمله، لكنُّها ظلت تتابعه وقد عقدت العزم على أن يكون لها، فلو كانت «بشرى» استطاعت الفوز عليها بزواجها من مدير مهم، وتزوجت «ليلى» من شخصية غنية ومرموقة، فلا بد لها من أن تفوز برجل مهم هي الأخرى، هو الآن مجرد رئيس قسم، لكن سنوات قليلة وسيكون مديرًا، ثم مديرًا عامًا.....

لم يمر شهر على عمل «سيد» معهم، إلا وكانت «إحسان» معه في (كافيتريا) مد يده وأمسك يدها، قال:

- آخر مرة أقابلك في مكان عام.

- هذا هو المتاح الآن.

- لو فعلناها ثانية، سيرانا الكثير من موظفي الشركة.

- والعمل؟!

صمت، فهو لا يمتلك مالًا لكي يستأجر لها شقَّة، هو في حاجة دائمة

t.me/qurssan

للمال، فلديه ولد وابنتان.

ذهب في اليوم التالي لـ (لصنع الصغير) الذي كان يعمل به، قابل زملاءه القدامى، حكى لهم عن هذه المرأة التي اختارته وعرضت عليه حبها، أخذ راحته في الحديث لأنَّهم لم يروها ولا يعرفونها، عرض عليهم مشكلته - وهي عدم وجود مكان آمن للاختلاء بها - أشفقوا عليه، وفكروا في حل مشكلته، مديره السابق عرض عليه أن يشاركه في شاليه على البحر، مقابل أن يحصل عليه عدة أيام في الأسبوع، واستدعوا موظفًا يسكن (العصافرة) ويعرف أصحاب الشاليهات هناك، وتم الاتفاق.

سار «سيد» معها فوق الرمال حتى وصلا للشاليه، اشترط صاحبه أن يكون التعاقد خلال أشهر الشتاء فقط، فلن يستطيعوا دفع قيمة إيجاره في الصيف.

ارتاحت «إحسان» للقائه، فهو أفضل كثيرًا من زوجها «إسماعيل».

مدير «سيد» السابق - شريكه في الشاليه - مسن، وليست عنده عشيقة، كل مبتغاه أن يستره ربنا ويكفي زوجته، متعته أن يذهب في اليوم التالي للقاء «سيد» و«إحسان»، ويتحسس مكان نومهما، يتشمم رائحة عطرها، ويبحث عن شعيرات قصيرة وقعت فوق الوسادة، يمسكها بحذر، يتحسسها منتشيًا، ويحتفظ بها.

من وضع الفراش يعرف الأماكن التي ناما فيها، ويحكي في اليوم التالي - لمن حوله - عما وجده وشمّه وتحسَّسه، ثم يعرض الشعيرات التي حصل عليها لموظفيه.

في المرة الثانية أتته «إحسان» بابنة أختها «منى» فهي في إجازة من عملها بالكويت.

الفتاة الصغيرة تحسّ بالغربة مع «سيد» الذي تراه لأول مرة، نظرت

t.me/qurssan

إليه في خوف، كادت تبكي، صاح «سيد» في «إحسان»:

- لماذا جئت بها؟!

- أمها في إجازة وتركتها عندي.

تحسَّس «سيد» جسد «إحسان»، فقامت مسرعة وأخذت الفتاة للحجرة الأخرى، وضعت لها مقعدًا ودلوًا وجاروفًا وباقي أدوات البحر، وقالت لها:

- العبي في هذه الحجرة إلى أن أعود إليك.

قال «سيد» لها عندما عادت:

- لا تأتي بها مرة أخرى.

في الشتاء يسترد صاحب الشاليه، شاليهه فلا يجد «سيد» مكانًا للقاء، فأخذها وركبا الأتوبيس الذاهب (للعجمي) من محطة (الرمل) أخبره البعض أنَّ بعض الخفراء هناك، يؤجرون الفلل والشقق المغلقة لطلاب المتعة، نظير مبالغ محددة.

كانت «إحسان» ترتعش من الخوف وهو يساوم الخفراء ويتفق معهم على الأجرة.

أضطر أن يدفع مبلغًا كبيرًا - لم يكن يتوقعه - وأقسم ألا يفعلها ثانية، فقد كان الخفراء يتلصصون عليهما بالرؤية والسمع وهم يبتسمون.

تعود «إحسان» إلى شقَّة أمها سعيدة، يحسّ أخواتها بالتغيرات التي تحدث لها بعد العودة، هنَّ لا يعرفن أين كانت؟ لكنَّهنَّ يحسّسن بأنَّها تسعد في لقاءاتها.

تنام فوق السرير في كسل، وآلام في ظهرها وساقيها، وتشرد فيما

t.me/qurssan

حدث، كانت خائفة حقًا، لكنَّها الآن سعيدة بالمغامرة، لولا «سيد» ما مرت بهذه التجارب اللذيذة.

قالت لأختها «منى»: لماذا لا تشتري شقة هنا في (الإسكندرية)؟

صمتت أختها لبعض الوقت، ثم صاحت: فعلًا، زوجي يبحث عن شقة نعيش فيها في إجازاتنا.

قالت «نوال»: لا بد من وجود شقة لكم في (الإسكندرية) فأسعار الشقق تزداد يوما عن يوم.

أومأت منى برأسها قائلة: وقد نضطر للعودة إلى مصر فجأة، فلا أمان هناك.

وتحمس الزوج الفلسطيني للفكرة، وقبل أن يعود بزوجته وأولاده للكويت اشترى شقة في ميامي وترك مفتاحها مع «إحسان» لتستكمل مستلزماتها: دخول المياه والكهرباء والغاز والتليفون، وترك لها مبلغًا كبيرًا لذلك. وهكذا تحكمت «إحسان» في شقة تحت أمرها، تأتيها في أي وقت تشاء، ويزورها فيها من يريد، زارها «سيد» في الشقَّة وهي بلا مياه أو كهرباء، كانا يضحكان وهما يتلامسان، واستعانا بالكبريت والشموع. وأنجبت «إحسان» ابنتين

كانتا في بياض سيد، وإحداهما شديدة الشبه به مما يؤكد لـ «إحسان» وسيد أنَّها ابنته دون شك.

تنام «إحسان» في بيت أمها للصباح و«إسماعيل» وحده، يرتاح هو الآن لغيابها، عندما عادت لبيتها وجدت كناس المنطقة يجلس معه، يدخنان ويشاهدان المباراة في التليفزيون فتأففت، أحسَّ الكناس بذلك، فأسرع بالخروج قبل انتهاء المباراة.

الشركة كلها تأكدت من وجود علاقة بينها وبين «سيد»، لدرجة أنَّه

t.me/qurssan

في اجتماع مع رئيس القطاع، لمَّح بذلك أمام كل موظفي الحسابات، وكانت - وقتها - ترتكن على الحائط، فقد تأخرت في المجيئ، فلم تجد مقعدًا للجلوس، فاضطرت للوقوف، وفجأة أغمى عليها من تأثير كلام رئيس القطاع الواضح.

ذلك جعل «سيد» يعيد حساباته، فقد ترك شركة الغزل - أول شركة عمل بها - بسبب علاقة مثل هذه، وهو الآن ناجح في عمله والوحيد الذي يعرف كيف يعد ميزانية الشركة.

مات «رمضان» - أخوها - في ذلك الوقت - فبكت عليه، رغم أن الأطباء أكَّدوا لأمه فور ولادته أنَّه لن يعيش طويلًا، ومن شدة حزن والده عليه، مات بعد أقل من شهر، فاضطرت أمه أن تغلق شقة بحري وتذهب لتعيش في شقة ابنتها «إحسان»، فالمرأة تركت العمل في الزار، فطالبيه قلَّوا، كما أن صحتها لم تعد تساعدها على ذلك، فكانت منى ترسل من الكويت لـ «إحسان» مبلغًا شهريًا مساهمة منها في الإنفاق على أمها، مما زاد دخل «إحسان»، فكانت تعطي لـ «سيد» ما يريده من مال. وعندما اختلفت معه يومًا صاحت فيه:

- أنا أنفق عليك وعلى بيتك.

كما أن «سيد» أصبح مديرًا، ثم انتدبوه لرئاسة القطاع.

ودَّ «سيد» لو تبتعد «إحسان» عنه لبعض الوقت لحين تثبيته في مركز رئيس القطاع، فعلاقته بها قد تمنع هذا التثبيت.

حدثها في ذلك - فاقتنعت - لكنَّها لم تستطع البعد عنه، وهو بعد بعدها عنه لأيام قليلة، أحس بأن شيئًا ينقصه، فأكثر من تدخين السجائر والحشيش، وهي تركت عملها وصعدت لحجرته الواسعة، لم تستأذن

t.me/qurssan

سكرتيرته، وأمسكت أكرة البابُ ودخلت، فقد تضبطه مع موظفة من موظفات الشركة. فقد ظنت أن طلب بعدها عنه، وراءه عشيقة جديدة غيرها.

حدثته عن «إسماعيل» زوجها الذي يلح عليها مطالبًا بحقه كزوج، وهي ترفض، حتى ثار وضربها في عنف، لدرجة أنَّه خبط رأسها في الحائط حتى سال الدم منه فأشعل «سيد» سيجارته وشرد لبعض الوقت، بكت قائلة:

- لو أجد من «يربطه»!

ضحك «سيد» قائلًا: ارتباطك بعمل أمك ككودية أثر عليك.

قالت في جدية شديدة: صدقني، هناك من يجيد هذه الأساليب.

بعد أن عادت «إحسان» إلى مكتبها، خرج «سيد» من حجرته وسار نحو إدارة المراجعة، فوجئ الموظفون به، حياهم مبتسما، وجلس بجوار «محسن» وهو موظف صغير يسكن حيا شعبيا، وعلى علاقة حسنة بـ «سيد»، قال له: في حيكم الشعبي، يوجد من يجيد ربط الرجال.

ضحك «محسن» قائلا:

- تريد من يربط، أو يفك الربط؟

- ليس مهما، فمن يعرف فك الربط، حتمًا يعرف ربطه أيضًا.

- سأسأل في الحي، وسأخبرك غدًا.

توصل «محسن» إلى حَلَّاق يجيد مثل هذه الأعمال، فكلما ذهب ليحلق عنده، يجده يتحدث عن «ملبوس»، أستطاع أن يعزِّم عليه ويخراج العفريت من جسده.

ذهب «سيد» إليه وانتظره حتى انتهى من الحلاقة لزبون، ثم همس في

t.me/qurssan

أذنه بما يريد، فقال الحلاق: لو أرادني مديرك فعليه أن يأتي لدكاني، فأنا لا أستطيع ترك عملي.

والد هذا الحلّاق يبيع الأكواب الزجاجية وأغطية لمبات الجاز البلّورية، ووقت كل صلاة، يفرد الحصر أمام دكانه، ويؤذن ويصلّي بالناس.

حكي «محسن» لـ «سيد» ما دار بينه وبين الحلاق، فشرد «سيد» بعض الوقت ثم صاح:

– ألا يمكن أن يأتي لبيتك، ونتقابل هناك؟

– عرضت عليه، فرفض ترك دكانه.

ooo

تقابل «سيد» مع «محسن» في محطة مصر، وسارا حتى دكان الحلاق، الذي طلب لهما شايًا من القهوة القريبة.

كان «سيد» قلقًا. يتابع رواد الدكان في خوف. فهو مميز ببذلته الأنيقة ونظارته الذهبية، فتفحصه الحلّاق وزبائنه في دهشة، فقلما يأتي للدكان زبونًا بهذه الوجاهة والأناقة.

يحكي الحلّاق طوال الوقت لمن يحلق له وللآخرين الجالسين في دكانه عن مغامراته في استخراج العفاريت من أجساد الممسوسين، وبعد الانتهاء من الحلاقة، استأذن كل الموجودين وأخذ «سيد» وجلسا خارج الدكان، ودار الحديث بينهما، ثم عادا بعد وقت ليس بالقصير، واستعد «سيد» للانصرف وهو زائغ العينين، حزينًا ومرتبكًا، وقال الحلّاق لـ«محسن»: لقد أنهيت للأستاذ مشكلته.

سار «محسن» مع «سيد» حتى محطة مصر، فهو لا يعرف كيف الوصول إليها وحده، قال لـ«محسن» في الطريق:

t.me/qurssan

- مندهش، كيف تعرف الوصول لمكان الشركة من هنا؟

لم يحك «سيد» ما دار بينه وبين الحلاق، و«محسن» لم يسأله عن ذلك.

واتضح لـ«محسن» أن «سيد» أخرج مبلغًا كبيرًا من المال وقدمه للحَلَّاق - خارج الدكان- مقابل أن يربط له «إسماعيل»، وقد أعطته «إحسان» أثره واسم أمه، لكنَّ الحَلَّاق ثار وغضب قائلًا:

- لولا أنَّك ضيفي ما تركتك تخرج حيًا من هنا، أنا لا أفعل هذه الأشياء، لا أفعل إلا الخير.

أخبر «سيد» «إحسان» بما حدث، وقال:

- كنت خائفًا، فلو تشاجر الحَلَّاق معي، فلن أخرج سالمًا من هذا الحي، الكل سيشارك في ضربي.

فضحكت «إحسان» وتحملت زوجها مضطرة، على أمل أن تجد من يربطه لها.

٥٥٥

وجاء المدرس الفلسطيني - زوج أختها «منى» - (للإسكندرية) فذهبت «إحسان» إلى شقَّته لمساعدته، وقضاء حوائجه، تكرر ذهابها إليه، فهو زوج أختها، كما أنَّه يترك لها الشَّقة طوال غيابه في الكويت تفعل بها ما تشاء، هذا غير المبالغ التي يرسلها من الكويت مساهمة في الإنفاق على أمها، لكن لاحظت «إحسان» أنَّ في الشُّقة آثار لامرأة غير أختها التي لم تستطع الحضور هذه المرة بسبب دراسة أبنائها، ما رأته وشمته من عطر يؤكد أن زوج أختها على علاقة بنساء غريبات فغضبت واحتارات ماذا تفعل، هل تخبر أختها «منى» لكي تأخذ حذرها؟ لكنَّ ذلك سيفسد العلاقة بينها وبين زوجها، وقد يؤدي للطلاق، فظهر «محسن» أمامها،

t.me/qurssan

ففي الحي الشعبي الذي يسكنه، من يجيدون صنع هذه الأشياء، فطلبت مقابلته وقالت:

- أعرف أنَّ في حيكم من يجيد عملية الربط.

- ماذا؟ زوجك مربوط وتريدين فكه؟

فضحكت قائلة: لا، زوجي بخير، وإنما أريد ربط زوج أختي.

فصاح مندهشًا:

- تكرهين أختك، لدرجة أن تربطي زوجها؟!

- لا، الموضوع ليس هكذا.

- وأنا لن أتدخل إلا إذا عرفت السبب.

فصاحت غاضبة:

- زوج أختي يأتي بنساء لشقته.

- هل رأيتهن؟

- ملابسهن، وأشياءهنَّ دليل حضورهنَّ إليه.

فضحك قائلًا:

- لا أستطيع أن أشترك في أذية أحد.

وقام من جانبها وهي غاضبة، حكت لـ «سيد» ما حدث، فصاح غاضبًا:

- حتمًا أردت زوج أختك، وعندما رفضك، تبحثين عن ربطه.

بكت وقالت معترضة:

- ما الذي تقوله؟!، إنَّه زوج أختي.

- لا يمكن أن تغضبي هكذا منه، إلا لأنَّه رفضك، أنا أعرفك جيدًا.

قامت غاضبة وعادت لمكتبها، لكنَّها عادت إليه في اليوم التالي وداعبته، لكنَّه كان ما زال غاضبًا ومصرًا على أن غضبها من زوج أختها

t.me/qurssan

لأنّه رفض أن يرافقها خلال فترة إجازته.

ooo

أراد «سيد» أن يتخلص منها، خاصة أن مكانته في الشركة، جعلت الكثير من السيدات يتقربن منه، ويردن أن يحللن مكانها.

سيد لم يعد في حاجة إليها فنقوده كثرت، المتعاملون مع الشركة يدفعون إليه بسخاء، ويعطونه الحشيش الذي أدمنه، فكان لا يفيق من الإدمان، وتعامل مع أكثر من امرأة، وشاع صيته في الشركة، فدخلت إليه «إحسان» غاضبة ونقلت إليه ما يقال عنه.

بينما يسير «سيد» في (شارع الرصافة) الذي يسكنه، وقع فاقد الوعي، حملوه إلى بيته، أيام قليلة ومات.

حزنت «إحسان» عليه كثيرًا، تذكرت أيامها معه، لكنَّها بعد وقت قصير بحثت عن عشيق آخر.

t.me/qurssan

بیت انشراح

t.me/qurssan

(١)

استغل الأخوان - «محمد» و «محمود» - أزمة الحرب العالمية الثانية، حيث ارتفع سعر المازوت بشكل ملحوظ، واعتمدت المخابز ومقالي اللب والسوداني على مخلفات ورش الخشب في إشعال أفرانهم فارتفع السعر واغتنى الأخوان.

اشتريا بيوتًا كثيرة في أحياء (الإسكندرية) المتعددة (كوم الشقافة) و(كوم الدكة)، وعدة بيوت في (سوق عقداية) و (راغب باشا) وبيتًا كبيرًا في (غربال) غير بيتهما الذي يسكنانه في (الباب الجديد).

تزوج «محمود» - الكبير - من زوجة طيبة، وسكن «محمد» في الشُّقة العليا وحده فالعمل في ورش الخشب الكثيرة، التي يحصلان على مخلفاتها، والبيوت الكثيرة التي يشتريانها من وقت لآخر شغلوه عن الزواج.

النقود مودعة لدى «محمد»، فهو يجيد القراءة والكتابة، يضع نوتة كبيرة فوق صدره، يخرجها من وقت لآخر يدون بها كل شيء، وكلما تجمع مبلغ - يمكنهما من شراء بيت - يرسلان للسمسار الذي تعوّد على العمل معهما، بل كان يذهب إليهما في بيتهما أو ورش الخشب التي يعملان بها، ويعرض عليهما بيتًا يريد أصحابه بيعه.

يسير الثلاثة «محمد» و«محمود» والسمسار بزيه الموحد - المعطف الذي يرتديه في كل وقت، حتى وقت الحر الشديد، والطربوش - يقول السمسار لهما:

- البيت هذه المرة في (حي بحري) هل اشتريتما من قبل بيتًا في بحري؟

t.me/qurssan

يقول «محمود»: لا.

ويقول «محمد»: ليس مهما، المهم أن يكون مناسبًا.

ويكمل «محمود»:

- وألا تكون فيه مشاكل، فنحن أبعد ما نكون عن المشاكل.

قال السمسار:

- تتعاملان معي منذ سنوات، وتعرفان طريقة عملي.

ركبوا ترام (٤) في (محطة سيدي أبي الدرداء) القريبة من (ورشة الخشب) التي يعملان بها.

نزلوا من الترام قريبًا من «حلقة السمك».

أحس «محمد» بالراحة، الهواء المنعش، والبحر، وميدان المساجد الذي مرت الترام من أمامه، فقال السمسار:

- أتفقت مع صاحب البيت على أن ينتظرنا في القهوة المواجهة لـ (نقطة شرطة الأنفوشي).

قال «محمود»:

- ولماذا لا ينتظرنا في البيت؟

- إنَّه يسكن في بيت آخر، فهو - مثلكما - لديه بيوت كثيرة.

كان صاحب البيت مكفهر الوجه، يتحرك في عصبية، أحس الأخوان أنَه يريد أن يتخلص من هذا البيت في أسرع وقت، فهو يوافق على أي شروط يعرضانها عليه، مما أقلق الأخوان.

دخلوا (شارع السيالة)، السمسار معروف لدى البعض هناك، فيرفع يديه محييًا كلما مر على قهوة.

t.me/qurssan

وقفوا أمام بيت قديم مكون من أربعة طوابقٍ، قال صاحب البيت للأخوين:

- بيت قديم، لكنَّه قوي كالحديد.

فُتحت نافذة الدور الأرضي، وأطلت منها امرأة عملاقة، وجهها طويل وعريض، وفمها شديد الاتساع، وشعرها العاري مصبوغ باللون الأصفر، نظرت لصاحب البيت وصاحت في غضب:

- مصمم على بيعه يا معلم «حامد»؟!

قال بصوت خافت، لكنَّ المرأة سمعته: بيتي وأنا حر فيه.

نظرت ابنتها وهي قريبة الشبه منها، زاحمتها في النظر من النافذة الضيقة عليهما، قالت:

- يبيعه، إللي أخذته القرعة، تأخذه .....

لم تكمل المثل، توقف لسانها وهي تتابع الرجلين اللذين يقفان مع السمسار الذي أمسك يد صاحب البيت لكي لا يرد، حتى يمر الوقت بخير وتتم البيعة، قال «محمود» لأخيه:

- بلاها هذه البيعة، البيت كله مشاكل.

كان «محمد» يتابع ما يحدث في النافذة باهتمام شديد، قالت المرأة لابنتها «مشيرة» قاصدة «محمد»:

- ماله، ينظر إلينا هكذا؟!

لم تجبها البنت واكتفت بتفحص الشاب باهتمام، ثم مصمصت شفتيها عجبًا.

قالت المرأة: اذهبي لأبيك، استدعيه حالًا.

t.me/qurssan

ارتدت الفتاة ملاءتها السوداء وخرجت من باب البيت وهي تتابع الشاب الذي لم يبعد عينيه عنها، ذهبت لأبيها العامل في الحمام الشعبي المواجه لـ (مستشفى النقراشي).

كان الرجل يشمر بنطاله لمنتصف ساقه، ويحمل دلوًا مملوءً بالماء الساخن، قالت:

- صاحب البيت جاء بمشترين للبيت.

ترك الدلو واستأذن صاحب الحمام الذي قال:

- بيته يا «خميس» وهو حر فيه.

- لكن بالأصول يا حاج.

خميس زوج «انشراح» الطويلة العريضة، والتي يحسب الحي كله لها ألف حساب، إذا غضبت عليه لا تتورع من أن ترميه بأقرب شيء إليها، ضربته في آخر مرة برأسها القوية أمام (مدخل الشارع) وقريبًا من القهوة، وسبته بأمه وأبيه، ولم تمتد يده إليها، كل ما فعله أن نظر للكثيرين الذين ألتفوا حولهما، وقال:

- خليكوا شاهدين يا جماعة.

«خميس» ذو رقبة عريضة تشبه رقبة البقرة، فأطلقوا عليه اسم «خميس بقرة»، هو لا يحب هذا الاسم، لكنَّه قنع به بعد أن وجد الكل يناديه به.

أحيانًا يكون له مصلحة، يسألون عن «خميس بقرة» ليعطوه مالًا إحسانًا أو لحمًا يوزعه أغنياء الحي، تجد ورقة اللحم مكتوبًا عليها بخط كبير «خميس بقرة» أو يرسل تجار السمك الكبار - في حلقة السمك - كمية سمك له أيرفض هذا لأنه لا يحب هذا الاسم؟!

t.me/qurssan

سار «خميس» وابنته البيضة معه، قال:

- فوتي في الأول على أختك «نبوية» وزوجها «حسني».

يذهب إلى البيت، بينما تذهب «البيضة» لبيت أختها «نبوية» القريب.

زوجها «حسني» يبيع الكفتة على عربة متاخمة لـ (مستشفى الأوقاف) هناك، قالت «البيضة» محرضة أختها:

- صاحب البيت جاء بمشترين جدد.

ضحكت «نبوية»:

- ضاق الرجل بك وبأمك ويريد بيعه ولو بالخسارة.

فوجئت «البيضة» بحديثها:

- ألن تأتي معنا؟!

ضحكت أكثر:

- وهل يقدر أحد على منعه؟!

قالت «البيضة» في هدوء:

- نعلم إنَّه بيته وهو حر فيه، لكنَّنا في كل مرة نثير المشاكل، فيبتعد المشترون اتقاءً للشر.

- عندك حق، من سيشتري بيتًا فيه مشاكل؟!

سارت «نبوية» مع أختها، واجهتهما عربة زوجها، كان يضغط بأصابعه على اللحم فوق الأسياخ الحديد قبل أن يضعها على النار.

«حسني» طويل ونحيف، شديد الشبه بأصبع الكفتة الذي يصنعه، فأطلقوا عليه اسم «حسني كفتة».

قالت نبوية:

- صاحب البيت جاء بمشترين جدد.

t.me/qurssan

ضحك قائلًا:

- لن يتمكن من بيعه طالما أمك تقف له بالمرصاد.

كان «خميس» يقف ببنطاله المشمر والمبتل، يتحدث مع الأخوين، قال:

- البيت خايخ، وآيل للسقوط.

فثار حامد وأقسم أن بيته سيبقى قائمًا في مكانه، وسيعيش أطول مما عاشت الأهرام وأبو الهول.

وأكد السمسار على قوله، و«محمود» يقول لأخيه:

- دعنا من هذه البيعة.

و«محمد» يبتسم كأنه يشاهد فيلمًا أعجبه، قال لصاحب البيت:

- ساشتري، لكنَّ خفِّض الثمن قليلًا.

فوجئ صاحب البيت بقوله، فأيقن هو والسمسار أنَّه لا يمكن لمشترٍ أن يقامر بشراء بيت به سكان بهذه الشراسة.

قال السمسار سعيدًا:

- لن نختلف.

فوجئ «خميس بقرة» وزوجته وابنتاها بما يحدث، فقال:

- أتشتري بيتًا كله مشاكل؟!

قال «محمد» مبتسمًا:

- بل سأشتريه من أجل سكانه.

كلماته المفاجئة جعلت «انشراح» تشرد ولا تجد ما تقوله، فنظرت لابنتها لتعرف ما الذي سيحدث.

«نبوية» قالت لأمها:

- رجل حصيف، يريد الصيد في الماء العكر، بيت فيه مشاكل، فسيبيعه صاحبه بأقل ثمن.

t.me/qurssan

بينما شردت «البيضة» في هذا الشاب الوسيم والذي يرتدي ملابس الصعايدة. تريد «انشراح» أن تقف ابنتاها معها لمنع هذه البيعة ليظل البيت كما هو.

انسحب الرجال الأربع، جلسوا على القهوة المواجهة لـ (نقطة البوليس) ليكملوا إجراءات البيع.

قال السمسار:

- لا تخش من «انشراح» وبنتيها، محضر في (نقطة البوليس) ينهي كل شيء.

قال «محمد»:

- الأمر انتهى، إنهنَّ يحاولن منع البيعة ليظل الوضع كما هو، وأنا بموافقتي على البيع، أفسدت مخططهن.

تمت الصفقة وعاد «محمد» حاملًا أوراق البيع.

قال «محمود» لأخيه وهما في الطريق:

- ياه، امرأة شرسة وابنتها كذلك.

قال «محمد» وكأنه يحلم:

- ابنتها الصغيرة جميلة و.....

صاح أخوه الأكبر:

- ماذا بك، أعجبتك البنت الشرسة؟!

قال «محمد» وقد أشاح بيده:

- لا، لا، مجرد رأي.

قال «محمود» لأخيه:

- قلت لك إن «فريدة» أخت زوجتي مناسبة لك.

t.me/qurssan

- لا أفكر في الزواج الآن.

***

تأتي «سميرة» - زوجة «متولي» الكونترجي - إلى البيت كثيرًا، هي في الحقيقة تطوف بيوت أهل بحري بحقيبتها الجلدية السوداء لتزويق النساء وجلي شعر وجوههنّ وأجسادهن.

تضربها «انشراح» على صدرها:

- كيف حالك يا سميرة؟ زوجك مازال يزور مستشفى الأوقاف؟

تتنهد في أسى:

- زهقت يا «انشراح»، إنَّه لا يموت ولا يحيا.

- وأخبار الولد «حسن» ابن «فردوس»؟

تجيب في ضيق:

- كما هو في الدكان.

- واضح أنَ أداءه لم يعد مرضيًا.

تهرب «سميرة» من هذه السيرة فتشير «للبيضة»:

- هيا إلى أن تأتي أختك «نبوية» من بيتها.

تقوم «البيضة» في كسل، تدخلان الحجرة الصغيرة التي تنام «البيضة» فيها، تفتح «سميرة» حقيبتها وتخرج أدوات عملها:

- مالك يا «بيضة»، أنت شاردة طوال الوقت، وحزينة.

لا شيء.

تربت وجهها الممتلئ كوجه أمها:

- مالك يا بنت، إنك تشبهين القمر.

تنهدت البنت في أسى وحزن:

t.me/qurssan

- وما فائدة هذا؟!
- بنت، أنا مُدرسة وأعرف من فنون العشق الكثير.
- إن لم تعرف «سميرة» العشق، فمن ستعرفه؟!
- لذا أؤكد بإنك تحبين.
- وما فائدة القول؟!
- قولي لي عن اسمه، وسأجعله يأتي طالبًا يدك.
وقفت البيضة فرحة:
- حقًّا يا سميرة؟!
- من هو؟
- الشاب الذي جاء لشراء البيت.
- سمعت عنه، هل هو متزوج؟
- لا، أعزب لم يزل.
- ماذا ستعطيني لو جئت به ليخطبك؟
قبلتها «البيضة» فرحة:
- عطيتي لك، ستكون أكبر مما تتوقعين.

***

خرجت «سميرة» من (مدرسة الشيخ علي أبو عكاز) المفروض أن تمر على دكان زوجها لتقابل الولد «حسن» (ياه، إنها الآن لا تطيق سيرته) تحاسبه وتحصِّل منه دخل الدكان، ثم تذهب إلى (مستشفى الأوقاف) لمقابلة زوجها، لكنَّ البرنامج كله تغير، فقد ركبت ترام (٤) ونزلت في (محطة سيدي أبي الدرداء) سألت عن (ورشة خشب الباركيه) المشهورة هناك، كان «محمود» وأخوه «محمد» يجلسان على الرصيف في انتظار

t.me/qurssan

توقف المكن، ليبدأ عمالهما في جمع النشارة والخشب الكسر، ووضعها في عربات يجرها عمالهما للأفران ومقالي اللب والسوداني، والنشارة الناعمة توضع في أجولة وتباع لأصحاب المحلات والمقاهي.

اقتربت «سميرة» منهما:

- المعلم «محمد» بخيت.

وقفا مشدوهين، إنَّها تمسك أوراقًا في يدها، وتلبس نظارة مقعرة، يعني تشبه موظفي الحكومة الذين يأتون مطالبين بقيمة مخالفات أشغال الطريق، أو الضريبة العقارية المسماه بـ «الوركو» على بيوتهما الكثيرة.

قال «محمد»:

- أنا «محمد بخيت».

- ممكن أتحدث معك على انفراد.

قام «محمود» قائلا:

- سأطلب الشاي لكما، أم تريدين قازوزة؟

ابتسمت قائلة: ليس مهما.

ابتعد «محمود» وجلست هي مكانه:

- جئت من طرف «البيضة».

- من «البيضة» هذه؟!

- التي اشتريت بيتهم في (شارع السيالة).

تذكرها، وعندما ذكرت اسمها، تمنى أن تكون هي، وأنَّها تسأل عنه وتريده، كما يريدها هو:

- تذكرتها، ماذا تريد؟ هل حدث شيء لشقتهم؟

ضحكت بصوت مرتفع:

t.me/qurssan

- الموضوع ليست له صلة بالسكن، وإنَّما بالعشق.

أحس بالضيق والخوف معًا:

- أرجوكِ، سيدتي، لا شأن لي بهذه الموضوعات.

- البنت تريدك في الحلال، هل في هذا خطأ؟!

جاء «محمود» ومعه الساقي يحمل صينية فوقها كوب الشاي، وزجاجة القازوزة في يده الأخرى.

يريد «محمود» أن يطمئن بأنَّ الموضوع ليس فيه خطورة على أخيه، وأنّها لم تأت من قبل الحكومة.

قال «محمد» مبتسمًا:

- اطمئن، ليس هناك ما يقلق.

أمسكت زجاجة القازوزة الباردة جدًا وقالت: جئت متبرعة، فقد عانيت كثيرًا من العشق لذا أشفق على أصحابه ولا أتأخر عن إنقاذهم.

ضاق من كلمة «العشق» ونظر إلى شرفات ونوافذ الجيران الذين يعرفونه، قالت:

- هل يمكن مقابلتها في مكان بعيد.

صاح مندهشًا وغاضبًا:

- كيف؟

- لا تخف، الموضوع سهل، يمكن مقابلتها في الشلالات أو النزهة.

- يا سيدتي، تركنا بلدنا وجئنا (للإسكندرية) من أجل لقمة العيش، وليس من أجل العشق الذي تتحدثين عنه بهذه البساطة.

- كل الرجال يتزوجون، أم تريد أن تبقى هكذا دون زواج؟!

t.me/qurssan

عندما انتهت من شرب زجاجة القازوزة، وقفت بقامتها المديدة، ومدت راحة يدها قائلة:

- اختر أحد الحلين: إما المقابلة كما ذكرت لك، أو تأتي من الباب وتخطبها، صدقني، لن تندم.

- لكن أمها شرسة!

ضحكت:

- لا شأن لك بأمها، اسرع واخطبها.

ثم سارت، وظلَّ يتابعها في مكانه، ثم نظرت خلفها وهي تخرج من الزقاق الذي تقع فيه ورشة الخشب، ثم لوحت له بيدها، فردَّ تحيتها.

٥٥٥

يأتي «محمد بخيت» ومعه أخوه «محمود» وقريب لهما، دقُّوا باب شقَّة «خميس بقرة»، فتحت «انشراح» فوجئت بابتسامة هذا الشاب الذي اشترى البيت، نفس الابتسامة التي لم تفارقه وقت رؤيته للبيت لأول مرة، صاحت بصوت مرتفع:

- أول ما ابتدينا.

وحاولت غلق الباب، لكنَّ «محمود» دفعه وأعاد فتحه عن آخره. صاحت «البيضة»:

- ما الذي يحدث؟

- أصحاب البيت الجدد، جاءوا مطالبين بالأجرة المتأخرة.

جاءت «البيضة» مسرعة، فقد حدثتها «سميرة» عن لقائها معه، وعن ترحيب الرجل لها، لكنَّه خائف من شراسة أمها.

قال «محمد»:

t.me/qurssan

- اهدئي يا امرأة، لم نأت إلا بالخير.

أراد «محمود» أن يشدَّه للخارج، فالموضوع واضح من أوله.

دخل الثلاثة، قالت «انشراح»:

- لا يمكن أن يأتي الخير عن طريقكم.

عادت «البيضة» لتطمئن على زينتها، فها هو قد جاء لخطبتها، ثم أسرعت لأمها حتى لا تفسد كل شيء، قالت لها هامسة:

- لقد جاء لخطبتي يا أمي.

فهدأت المرأة، جلست منهارةً، فمن الذي أخبر ابنتها بسبب حضوره دون أن يقول، حتمًا هناك لقاءات واتفاقات من وراء ظهرها.

تحدث «محمود» بصفته الأخ الأكبر الذي لا بد أن يبدأ الكلام:

- جئنا طالبين ابنتك لأخي «محمد».

قالت «انشراح» التي فوجئت بكل شيء:

- دقائق، أرسل في طلب زوجي، «خميس بقرة»، هذه هي الأصول.

جلست «البيضة» فوق الكنبة المواجهة سعيدة، تتابع وجه عزيزها.

خرجت «انشراح» إلى الشارع، وأرسلت أحد الصبية ليستدعي زوجها، فجاء بملابسه المبتلة، ظنَّهم جاءوا ليخرجوهم من سكنهم، فما أن رآهم حتى صاح:

- ألن ننتهي من مشاكل هذا البيت؟!

قالت «انشراح»:

- لا تتسرع يا «بقرة»، لقد جاءوا طالبين «البيضة» للزواج.

أسرع «خميس» بإشعال الوابور، فوضع براد الشاي فوقه وهو يبتسم ويرحب بهم. وجلست «انشراح» لتتفق على كل شيء، قالت:

t.me/qurssan

- وأين ستسكنها؟

ابتسم «محمد» قائلًا:

- شققي كثيرة، لكنَّني اخترت شقة في بيتي بـ (الباب الجديد).

صاحت في عنف وهي تضرب على صدرها المتلئ:

- ابنتي لن تخرج من البيت، إللي أوله شرط، آخره نور.

قال «محمود» غاضبًا:

- شقة (الباب الجديد) واسعة وفيها أثاث و...

قاطعته قائلة:

- لا تؤاخذني، حديثي مع من سيتزوجها.

زفر «محمود» في غضب، أخوه جنَّ، ألم يجد سوى ابنة هذه المرأة الشرسة ليتزوجها، وصاح «محمد» معترضًا:

- أخي «محمود» كبيرنا، والكلمة كلمته.

أحست «البيضة» بأنَّ أمها قد تنهي الموضوع وتفسده بطريقتها هذه. فقالت:

- لدينا شقة خالية في الدور الثاني، نسكنها مؤقتًا، وننتقل بعد ذلك لشقَّة (الباب الجديد).

أراد «محمود» الاعتراض، وإلا فرضوا على أخيه إرادتهم في كل مرة، لكنَّ «محمد» قال مبتسمًا:

- لن نختلف، نسكن هذه الشَّقة مؤقتًا.

أراد «محمود» أن يعترض فقال «محمد» له:

- مؤقتًا، وبعدها نتصرف.

t.me/qurssan

تم الزواج خلال أيام قلائل، فـ «محمد» نقوده كثيرة. عندما انفرد بـ «البيضة» الجميلة، أعجبه فيها طولها وعرضها، حتى وجهها كان ممتلئًا، وشفتاها ممتلئتان كبريتان، لا يعيبها سوى أسنانها البارزة مثل أسنان أمها لذا تحرص على غلق فمها دائمًا وهي جالسة وسط الناس لتخفي هذا البروز.

مشكلة «محمد» هي «انشراح» التي تتدخل في كل شيء، ظنَّ أول الأمر أنَّه سيستطيع السيطرة على زوجته وإقناعها بالبعد عن أمها وأختها «نبوية»، واكتشف أنَّ من الصعب فصل زوجته عنهما.

أختها «نبوية» مشغولة بزوجها «حسني» وأبنائها منه، هي التي تعد له خلطة الكفتة، تفرم اللحم وتضع الخضرة وباقي مستلزماتها، فقلما تأتي لبيت أمها، لكنَّ «انشراح» تقضي معظم الوقت في شقتهم، تطبخ لها، وتسأل «محمد» عن عمله، ثمن عربة الخشب الكسر، وجوال النشارة، وإيجار بيوته الكثيرة، فلا يرد عليها، يجيبها بعدم إظهار ضيقه وفي هدوء شديد:

- هذه أسرار عمل.

عرض على زوجته الابتعاد عن (حي بحري) وشقته في (الباب الجديد) جاهزة وواسعة، لكنَّها ترفض بإصرار .

بعد تسعة أشهر أنجبت «البيضة» ابنها «أحمد» ذلك جعل «محمد» لا يلح في أخذ زوجته بعيدًا عن أمها.

t.me/qurssan

(٢)

عندما تأتي «سميرة» إلى البيت، تهتم بها «البيضة» اهتمامًا خاصًا، فهي التي زوجتها من «محمد بخيت»، فتسرع بتقديم الشراب والأطعمة لها، وتدس النقود في يدها بعيدًا عن أعين أمها وأختها.

تقف «سميرة» استعدادًا للرحيل، فتقول:

- وأنتِ يا «انشراح»؟

تمط شفتيها آسفة:

- لن أتزوق يا عزيزتي، الرجل .... (وصنعت بشفتيها صوتًا يعني إن لا فائدة منه).

قالت:

- ربما هذا لعدم اهتمامك بنفسك.

- لا، فعلت المستحيل، وهو كالبقرة، صدق من سماه «بقرة».

لمت «سميرة» عدتها وأمسكت حقيبتها ووقفت قائلة:

- يعني أذهب لجارتكم «أم سليمان»؟

تضحك «انشراح» وقد شدت «سميرة» حتى أوقعتها بجانبها فوق الكنبة:

- «أم سليمان» أرملة الآن، فلمن تتزوق؟!

- لنفسها، لا بد أن تبدو المرأة جميلة في كل وقت.

قالت «نبوية» وهي ما زالت تنظر للمرأة:

- زوقتي «أم سليمان»؟

t.me/qurssan

- زوقتها قبلكن.

بديعة، التي تسكن الدور الثالث، ويدعونها بـ «أم سليمان». ذات وجه أحمر دائمًا، وقامة متوسطة الطول، والمؤخرة عالية بشكل ملحوظ، تحرص على جلي الشعر عن وجهها وجسدها في وقت محدد لا تحيد عنه، كأنها تنتظر زوجًا، مع أنَّها ترملت منذ ثلاث سنوات وشهور قليلة، تركها الزوج العزيز في الشُّقة وحدها، بعد أن تزوج «سليمان» وسكن بعيدًا في (أبي قير) وقلما يزورها هو أو زوجته.

تصيح «نبوية» التي تنظر في مرآتها الصغيرة - التي لا تفارقها - لترى التغيرات التي أحدثتها «سميرة» بوجهها:

- من مصلحتك تدافعين عنها، فهي زبونة مستديمة، وبلغني أنَّها تدفع أكثر من عروس تستعد للزواج.

- هذا لا يهمني يا حبيبتي، الزبائن كثر، لا أستطيع تلبية كل الطلبات الآن.

تقول «البيضة» مجاملة لـ «سميرة»:

- ألحق، ليس في بحري من تزوق النساء مثلك.

تقول «انشراح»:

- كلكن بلهاوات ولا تعرفن ما ترمي «أم سليمان» إليه.

تجيب «نبوية»:

- ماذا، أتسعى للزواج؟

- نعم، وعينها من الشاب الصغير الذي يطوف بعربته الصغيرة مناديًا على البرغل والفريك والعدس.

قالت «البيضة»:

t.me/qurssan

- فعلاً، فقد لاحظت أنَّها تنتظر قدومه في نافذتها، وما أن تراه حتى تنادي عليه بدلال (تقلدها) يا «مسعود»، أنت يا «مسعود».

تضحك النسوة، يتذكرن طريقة «بديعة» في النداء، تقلدها «نبوية» أيضًا:

يا «مسعود»، أنت يا «مسعود»

وتستدرك «سميرة» قائلة:

- ما كل سيدات الحي ينادين عليه.

فتقول «نبوية»:

- لكن ليست بهذه الطريقة، إنَّها تناديه كأنها تنادي عزيزًا، أو حبيبًا.

وتكمل «انشراح»:

- إنها تشتري منه كل يوم، ألا تأكل سوى البرغل والعدس والفريك؟!

فتجيب «سميرة»:

- على أية حال، الزواج ليس عيبًا، ماذا فعلت الحرة، تزوجت، كما أنَّها أرملة منذ أكثر من ثلاث سنين، يعني صبرت وعانت.

تضربها «انشراح» على صدرها قائلة:

- إنه أصغر من ابنها «سليمان».

- القلب وما يريد.

***

تسير «سميرة» في شارع الباشا شاردة، لم تلحظ اهتمام «أم سليمان» ببائع البرغل والعدس والفريك، إلا لما حدثتها «انشراح» وابنتاها عنه.

t.me/qurssan

فعــ ً، المــرأة تتحدث عنه كثــيرًا، كلّما حدثتهــا في موضوع، تدخل «مسعود» فيه، تقحمه دون داع.

الشــاب وســيم، وجســده قوي، عيناه ســوداوان واســعتان، وشفتاه صغيرتان، ممتلئتان. لم تلحظ «سميرة» مدى جماله من قبل، اشترت منه كثيرا، عدسًا وفريكًا، فلم يلفت نظرها.

يقــف بعربته الصغــيرة، يضــع القراطيس، يملأهــا بالحبوب التي يبيعها، لــماذا لا تتدخل «سميرة» وتزوجهمــا؟ ويا بخت من جمع اثنين في الحلال، ليت «انشــراح» فتحت الموضوع قبل أن تصعد إلى «أم ســليمان» بالأمس وتُزّوقها، كانت اســتغلت موضوع «زواقها» وحدثتها عنه، كانت ستقول لها: « تفعلين كل هذا من أجل «مسعود»؟

ستنتظره «سميرة» في الغد، ستنادي عليه بالطريقة التي تنادي بها «أم سليمان»: «يا «مسعود»، أنت يا «مسعود»»، ستفتح معه الموضوع.

تعود «سميرة» من المدرسة وقت حضور «مسعود» للمنطقة، تعرف خط سيره، والشوارع والحواري والأزقة التي يمر بها وينادي فيها.

تقابله «سميرة»، تقف وسط الطريق:

– «مسعود»، كيف حالك؟

أول مرة تناديه باسمه:

– ماذا تريدين؟

– كنت لدى «أم سليمان» بالأمس.

– من «أم سليمان» هذه؟!

تضربه على صدره معاتبة:

– لا تتخابث عليّ، «بديعة» يا «مسعود».

t.me/qurssan

- صدقيني، لا أتذكرها فزبائني كثيرون.
- التي تسكن (شارع السيالة).
يتذكرها «مسعود»:
- تذكرتها، ماذا بها؟!
- زوقتها بالأمس، تعرف أنَّي أزوق النساء؟
- أعرف.
- وتعرف أنَّ الأرملة تتزوق من أجلك؟
صاح مندهشًا، وقد أمسك يدي عربته الصغيرة راغبًا في البعد عنها:
- من أجلي أنا، لماذا؟!
- قالت، لا تتخابث.
دفع عربته بعيدًا عنها، فسارت خلفه:
- انتظر، لم اشترِ شيئًا منك.
صاح دون أن ينظر إليها:
- الله الغني عن شرائك.
ابتعد الرجل بعربته في غيظ، لكنَّ ذلك زادها إصرارًا على أن تزوجها منه.

زارت في المساء «أم سليمان»، سارت دون أن تحدث صوتًا تسمعه «انشراح»، أو إحدى ابنتيها.

دقَّت الباب في حذر، فتحت المرأة وهي تمضغ اللادن، فوجئت بها أمامها، ما الذي جاء بها، لقد زوقتها بالأمس، وأعطتها «أم سليمان» أجرتها:

- «سميرة»، تفضلي.

t.me/qurssan

تابعتها «سميرة» دون قول، لكنَّ بابتسامة توحي بأشياء، كانت تتفحص كل جزء في وجهها وجسدها:

- خير يا «سميرة»؟

جلست وهي ما زالت تتابعها بابتسامتها تلك: تعرفي أنَّك تزدادين جمالاً يومًا عن يوم.

ضحكت المرأة بصوت مرتفع وقد سعدت بمدح «سميرة» لها.

- أين يا سميرة، كل شيء ضاع وانتهى.

ضربتها على صدرها الناهد:

- وهذا الجمال، ألن يتمتع به أحد؟!

أحست «أم سليمان» أن في الأمر شيئًا جديدًا، فهي تعرف، والكثيرون يعرفون الآن أنَّ «سميرة» قد أضافت لعملها النسائي، تزويج البنات والنساء:

- ماذا وراءك يا «سميرة»؟

- «مسعود».

أحست المرأة بما تريد قوله، لكنَّها تظاهرت بعدم الفهم:

- من «مسعود» هذا؟!

- «أم سليمان»، أنا أعرف كل شيء.

ارتعشت المرأة وأحست بالخوف، معني هذا أنَّ الكل يعرف ما تفعل، ولاحظوا انتظارها لقدومه وشغفها للقائه.

- ماذا تعرفين يا سميرة؟

- أعرف أنَّك تريدين الولد «مسعود».

وقفت المرأة غاضبة:

t.me/qurssan

- لا يا «سميرة»، كله إلا هذا، «مسعود» أصغر سنًا من ابني «سليمان».

- وأين «سليمان»، متزوج ومتهني مع زوجته وأنتِ.....

قاطعتها قائلة:

- مالي أنا يا «سميرة»؟!

- تعيشين وحدك في شقة طويلة وعريضة، وتحرمين نفسك من.....

جلست المرأة حزينة:

- «سميرة»، رفقًا بي، لماذا تريدين تعذيبي؟!

اقتربت منها، شدَّتها إليها، ضمتها لصدرها، فبكت المرأة في صدرها، شمت «سميرة» رائحة العطر الذي تحرص المرأة على التعطر به.

- «أم سليمان»، الزواج ليس حرامًا، وأنت كالقمر، وجسدك ولا فتاة في العشرين.

مصمصت المرأة شفتيها أسفًا على شبابها الذي يزوي دون شيء:

- وما فائدة كل هذا؟!

- سأزوجك «مسعود»، وسترين.

صمتت «أم سليمان»، ثم قامت لتعد شرابًا لـ «سميرة»، التي قالت:

- لا أريد شرابا.

- لا، لا بد أن تتناولي العشاء معي، كل ليلة أتناوله وحدي.

وقفت محاولة الخروج من الشَّقة، لكنَّ «أم سليمان» أقسمت بأن تتناول العشاء معها، وعندما استعدت للخروج، أعطتها «أم سليمان» لفة كبيرة فيها أطعمة وأقمشة جديدة، كانت تنوي «أم سليمان» أن « تفصلها». لكنَّ «سميرة» أولى بها.

t.me/qurssan

شـــهور قليلة وجاء «مســـعود» مرتديًا ملابس أنيقـــة ورابطًا عمة فوق طاقيته ومعه رجلان – أقارب – و «سميرة».

دقُّوا باب شقة «أم سليمان»، وتحدثوا معها، كانت سعيدة ومرتبكة، بكت من شدة الفرح، لكنَّها تذكرت ابنها «سليمان» فصاحت في يأس:

– ابني «سليمان» سيغضب مني.

ضمتها «سميرة» لصدرها وقبَّلتها، مسحت دموعها، لكنَّ المرأة أصرت على أن يرضى ابنها على الزواج.

المبلغ الذي ستتناوله «سميرة» ليس قليلاً، من «مسعود» و «أم سليمان» أيضًا، هذا غير رزق سيأتيها من أقارب «مسعود»، فصاحت:

– سأذهب لـ (أبي قير) لمقابلة ابنك «سليمان».

وتحدد موعد آخر حضره «سليمان» وزوجته التي ضمت «أم سليمان» لصدرها وقبلتها فرحة، كان ابنها «سليمان» غير راضٍ عن ذلك، صاح في أمه لائمًا أمام زوجته و «سميرة» بينما «مسعود» مع أقاربه في الحجرة الأخرى:

– هل قصرت معك في الفلوس؟

بكت وقالت وهي تنظر للأرض في أسى وحزن:

– الفلوس ليست كلّ شيء.

ثار «سليمان» وعلا صوته، لكنَّ زوجته أمسكت يده، وهمست في أذنه:

– زواج أمك هو الحل، لن تحتاج لنقود منك، ولن تشكو الوحدة.

زفر في أسى قائلًا:

– وكلام الناس؟

t.me/qurssan

ضحكت «سميرة»، كان «سليمان» ينظر إليها في غيظ ويريد الفتك بها، فلولاها ما فعلت أمه هذا وأحرجته أمام أهل الحي، قالت «سميرة» له:

- الرجال ينتظرونك بالداخل.

فقام مضطرًا، وتمَّ الزواج. لكنَّه سار حزينًا ومحاولًا الهروب من جيرانه القدامى في المنطقة، وعاد إلى (أبي قير) ولم يعد ثانية لـ (حي بحري).

تابعت «انشراح» وابنتاها «مسعود» وهو نازل على سلم البيت، يسعل لكي تحس «انشراح» وابنتاها به، ليفسحن له الطريق.

قالت «نبوية»:

- «سميرة» هي التي زوجته.

t.me/qurssan

(٣)

ألح «محمد بخيت» على زوجته، بضرورة زيارتها لبيت أخيه «محمود» في (الباب الجديد)، فزوجته «زهرة» مشتاقة لرؤيتها ورؤية «أحمد» ابنه، فصاحت «البيضة» في عناد:

- ولماذا لا تأتي هي لزيارتي؟!

- لا تنسي أنَّ «محمود» أخي الأكبر.

وافقت «البيضة»، وأسرعت في طلب «سميرة» «لتزوُّقها» - جاءت «سميرة» وقد أحست أنَّ في الأمر جديدًا، فموعدها معها لم يحن بعد.

عندما اختلت بها، قالت «سميرة»: ليتك تحدثي زوجة أخو زوجك عني، أملي أن تمتد شهرتي لـ (خارج بحري).

ضحكت «البيضة» ووعدتها بذلك.

وبالفعل حدثت «زهرة» عن «سميرة» ومهارتها في «جلي الشعر» والتزويق، وتزويج البنات، في الآونة الأخيرة تحولت لخاطبة، تسعى لتزويج البنات بمهارة شديدة. تضحك «زهرة»، فهي تعلم أنَّ «سميرة» كانت سببًا في زواج «البيضة» من «محمد» - شقيق زوجها - وشردت وهي تحدث «البيضة»، ستجعلها تأتي لزيارتها لجلي الشعر عن وجهها وجسدها، وتزويقها، مثلما تفعل مع «البيضة»، وأيضًا لكي تزوج أختها «فريدة»، فقد حاولت كثيرًا مع «محمد» - شقيق زوجها - لكنَّه رفض، وتزوج «البيضة». وسوف تحدثها أيضًا عن سبب تأخر إنجابها، فهي متزوجة قبل «البيضة» بثلاث سنوات، «البيضة» أنجبت بعد تسعة

t.me/qurssan

أشـــهر، وهي كما هي، حتمًا ما دامت تفهم في مســـائل النساء، ستعرف في أسباب الإنجاب.

***

سار «محمد» بخيت من بيته في (السيالة) حتى بيت أخيه «محمود» في (الباب الجديد)، مسافة طويلة جدًا، والوقت متأخر، لكنَّ الرجل ضاق بـ «انشراح» وابنتها، ولولا ابنه الحبيب – أحمد – لطلقها وارتاح.

فتحت «زهرة» الباب، صاحت مندهشة:

– تفضل يا حاج «محمد» (ثم صاحت بصوت مرتفع لزوجها النائم في حجرته): أخوك «محمد».

فجاء «محمود» مسرعًا وقلقًا: أخي «محمد»، تفضل.

جلس «محمد» مهمومًا: ماذا حدث؟!

قالها «محمود» وهو شديد القلق على أخيه الحبيب.

ابتعدت «زهرة» لكي تسمح للأخوين لأن يتحدثا براحتهما:

– تعبت يا أخي، ظننت أنّي قادر على أخذ زوجتي بعيدًا عن أمّها، لكنّني فشلت.

– اصبر من أجل ابنك.

– هذه هي مشكلتي.

قال «محمود»:

– لا تغضب هكذا، النساء كثيرات، وأنت ولله الحمد قادر على الإنفاق على أكثر من بيت.

– تقصد أن أتزوج؟

– هذا هو الحل الذي سيجعلها صاغرة ومطيعة لك.

t.me/qurssan

تنهد «محمد» في أسى وصمت، ثم قال: سأصعد لأنام في شقَّتي.
أقسم «محمود» ألا يخرج من شقَّته وهو في هذه الحالة.

***

تعودت «البيضة» السهر في شقَّة أمها، أو تصعد أمها وأختها إليها ويسهران حتى يأتي زوجها متأخرًا، قالت «انشراح»:
- زوجك تأخر هذه الليلة.
- أخشى أن يكون قد حدث له مكروه.
صمتت «انشراح» بعض الوقت ثم قالت:
- هل اختلفت معه بالأمس؟
- لا.....
ثم تذكرت، فقد ألح عليها ليلة أمس أن يتركوا هذه الشُقة ويعيشوا في شقتهم بـ (الباب الجديد)، بعيدًا عن أمها وأختها.
قالت «انشراح»:
- ما دام الأمر كذلك، فزوجك غاضب منك، ويريد تأديبك بالبعد عنكِ.
- والعمل؟
- نامي أنتِ وإبنك وسوف يأتي إليك صاغرًا مضطرًا.

***

يستيقظ «محمد»، يدخل الحمام، يتوضأ ويصلي، بينما «زهرة» تعد الطعام، يجلس بجوار أخيه، يحكي له عن «أم سليمان» التي تسكن الدور الثالث من بيت (السيالة)، أرملة، مات زوجها منذ أكثر من ثلاث سنوات، تزوجت منذ أيام قلائل، زوجتها «سميرة» التي «تزوق» النساء في (حي بحري).

t.me/qurssan

أراد «محمود» أن يقول أنَّها تأتي لـ «تزويق» زوجته «زهرة»، لكنَّه خجل أن يذكر هذا لأخيه.

خرج الأخوان لعملهما، وظلت «زهرة» وحدها في الشَّقة، إنها تعرف كيف تستدعي «سميرة» إذا أرادتها، تأتيها في أوقات اتفقا عليها، لكن لو جدت أمور، تتصل بالمدرسة – تليفونيًا – فتأتيها مسرعة.

ظلت «زهرة» تنتظرها، قالت «سميرة» وهي تلوح بحقيبتها السوداء:

– ماذا حدث، حفل مفاجئ.

حدثتها «زهرة» كثيرًا بأن تجد عريسًا لأختها فريدة، البنت كبرت ولم يأت طالب لها، و«سميرة» تطمئنها من وقت لآخر، قالت «زهرة»:

– لا أريدك لهذا الأمر، وإنما لسبب أهم.

– اللهم أجعله خيرًا.

جلستا معًا على الكنبة العربي، قالت «زهرة»:

– أعرف أنَّك كنت سببًا في زواج البيضة من «محمد» شقيق زوجي.

– وسأزوج أختك «فريدة» في القريب.

– لكنَّك آذيت شقيق زوجي بهذه الزيجة.

– لماذا، «البيضة» جميلة و.....

– أمها يا «سميرة» لا تريد أن تتركها، كما أنَّها تحرضها على زوجها.....

مدت «سميرة» يدها قائلة:

– لا تكملي، أعرف «انشراح» جيدًا، لا يستطيع أحد احتمالها.

– والعمل يا «سميرة»؟

– تريدين أن يطلقها؟

t.me/qurssan

- لا من أجل ابنها، وإنما أن تتأدب وتطيعه.

- كيف؟

- بأن تزوجيه بأخرى.

عادت «سميرة» للخلف وقالت:

- تأديب صعب، لكنّه ممكن.

ظلّت المرأتان تتحدثان حتى جاءت «فريدة» - أخت «زهرة» - وكانت «سميرة» تراها لأول مرة في حياتها، وعندما ابتعدت عنهما، قالت سميرة:

- ولماذا لا تزوجيه أختك هذه؟!

- عرضتها عليه من قبل، فرفضها.

- سيقبلها الآن، لكنّ تحركي بسرعة.

° ° °

عندما تجاوزت أيام ابتعاد «محمد بخيت» عن بيته لأسبوع بأكمله، اضطرت «انشراح» أن تأخذ ابنتيها وتذهب إليه في بيته بـ (الباب الجديد)، قالت «انشراح» لزوج ابنتها، أمام «محمود» و «زهرة» - زوجته: مالك يا رجل؟

رحّب «محمد» بهن: تفضلن، أهلا بكن.

جلسن متجاورات، كانت «البيضة» تنظر إليه بحب وابتسام، تتمنى لو عاد معها الليلة فقد اشتاقت إليه ولحديثه.

وصاحت «انشراح»:

- بلا أهلًا بلا سهلًا، هيا يا رجل إلى بيتك.

- لن أعود لـ (شارع السيالة) ثانية.

t.me/qurssan

ضحكت «نبوية» قائلة:

- البيت كله ملكك.

- ليس مهما.

قرصت «انشراح» ابنتها «نبوية» لتتكلم، فقالت:

- وأختي لن تترك بيت أمها مهما حدث.

كانت البيضة حائرة، لا تريد أن تفقد زوجها الذي تحبه، وأيضًا لا تريد أن تبدو ضعيفة أمام أمها وأختها.

وقفت «انشراح» منهية اللقاء، فتبعتها «نبوية» وقالت «البيضة» لأمها في توسل: لحظات قصار يا أمي.

فصرخت أمها فيها غاضبة:

- هيا يا بنت.

جاءت «زهرة» من المطبخ، حيث كانت تعد الشراب، قالت: مهلا يا ست «انشراح».

نظرت إليها في استخفاف وخرجت من باب الشُقة، وتبعتها «نبوية»، بينما ترددت «البيضة» بعض الوقت، حتى صرخت أمها فيها: هيا يا بنت.

قال «محمد»: لولا ابني لطلقتها.

تلليلة وارتحت.

قال «محمود»: تزوج يا أخي عليها، هذا هو الحل.

صمت بعض الوقت، قالت زهرة له:

- ما رأيك في «فريدة» أختي؟

- أنتِ وهي من أفضل الناس، لكن.....

t.me/qurssan

- «فريدة» مستعدة أن تكون خادمة لك.

صاح «محمود»: اتكل على الله.

لم يجب «محمد» بشيء، فقال «محمود»:

- لست أول من تزوج على زوجته، «البيضة» بعد زواجك عليها ستتغير، وسترى بنفسك.

تم زواج «فريدة» من «محمد» في الشَّقة العليا ببيت (الباب الجديد).

انتشر الخبر في (حي بحري)، «سميرة» زوجت «محمد بخيت» من زوجة أخرى غير «البيضة» ابنة «انشراح».

بكت «البيضة» وضربت «انشراح» على فخذيها حتى أدمتهما، لا بد من الانتقام من «سميرة»، قالت «البيضة»:

- نحن في زوجي الذي ضاع مني.

- دعيك منه، فسوف يأتي.....

قاطعتها غاضبة:

- كفى يا أمي، الرجل تزوج وانتهى الأمر.

- ماذا حدث لك يا بنت؟!

- سأعود لزوجي وأبو ابني، سأعيش خادمة له.

غضبت «انشراح»:

- أتقولين هذا أمامي، أنت ترين كيف أتعامل مع أبيكِ، وترين أختك «نبوية» وهي تسب وتسخر من «حسني» زوجها.

- زوجي يختلف عن أبي وزوج أختي.

وعادت «البيضة» لبيت زوجها، دقت باب شقة «محمود» في الدور الأول العلوي، فتحت «زهرة» الباب، رأتها وهي تحمل حقيبتها بيد وتحمل ابنها بالأخرى، كانت تبتسم لها في ودٍّ واستسلام.

t.me/qurssan

- تفضلي يا «بيضة»، زوجك في شقته بالدور الأعلى.

دخلت حزينة ومنكسرة، وجاء زوجها، صافحها وقبل ابنه، قالت:

- لن أخالف لك أمرًا بعد ذلك، لكن.. (وبكت).

حمل حقيبتها وحملت هي ابنها «أحمد» وصعدا للشقة، صافحت «فريدة» التي ابتعدت وتركتهما معًا لبعض الوقت، بكت «البيضة» قائلة:

- سأترك بيت أمي، لكن... (بكت ثانية) أرجوك أوجد لي شقَّة أخرى غير هذه.

ربت خدها قائلا:

- سأوجد لك شقَّة أخرى، البيوت كثيرة.

° ° °

استأذنت «البيضة» زوجها في زيارة أمها التي أرسلت في طلبها، قال:

- هذا حقك.

ذهبت إليها. كانت أختها «نبوية» موجودة، قالت «انشراح»:

- خالفتي أوامري وعدت لزوجك، بل قبلت الحياة مع ضرة في شقَّة واحدة.

- دعيك من هذا الآن، فهو يعد لي شقَّة أخرى في (بيت كوم الشقافة).

صمتت الأم في غيظ، ثم صاحت ثانية: و«سميرة» التي كانت سببًا في هذه الزيجة، أستتركها دون عقاب؟!

قالت «البيضة»: أرسلتِ لي من أجل هذا؟!

قالت «نبوية» في هدوء: ما حدث سيهز صورة أمك في المنطقة، وستفقد مكانتها بين الناس، الكل سيتجرأ عليها.

نظرت «البيضة» إلى أمها: دعيها لحالها وكفى ما حدث.

t.me/qurssan

وقفت «انشراح» غاضبة: تعرفين لو لم نؤدب «سميرة»، لن تقوم لي قائمة بعد ذلك، الكل سيتطاول ويشمت في.

أشاحت «البيضة» بيدها، فقالت «نبوية»: إذا تحدثنا مع واحدة، ستقول: روحوا لـ «سميرة» التي فعلت بكن كذا وكذا.

بكت «انشراح» قائلة: حزينة لأنني أنجبت بنتًا بكل هذا الضعف والتخاذل.

قالت «البيضة» وهي تقبلها: افعلي بها ما تشائين.

قالت «نبوية»: أرسلت في طلبها، ستظن أنَّنا نريدها في عمل.

دقائق وجاءت «سميرة» تلوح بحقيبتها السوداء، قالت «للبيضة»: بلغني أنَّك عدت لزوجك رغم زواجه عليكِ.

أومأت «البيضة» برأسها موافقة: وأنَّك تعيشين الآن مع ضرتك في شقَّة واحدة.

قالت «نبوية»: هذا بفضل تدبيرك.

صاحت «سميرة» غاضبة: لقد تزوج أخت زوجة أخيه، ما شأني أنا بكل هذا؟!

صاحت «انشراح»: بركاتك حلت يا حاجة «سميرة» علينا.

أسرعت «نبوية» وأغلقت الباب، وأمسكوا بها، اضطرت «البيضة» أن تشترك معهما فـ«سميرة» حدثتها بشماتة واضحة. أمسكت البيضة يديها في عنف، ورفعوا ملابسها عنها، ووضعت «انشراح» الشطَّة في أحشائها.

ظلت «سميرة» تصرخ كالمجنونة، أسرعت «أم سليمان» وزوجها «مسعود» ليريا الخبر، وجاء كل سكان البيت، والبيوت المجاورة.

t.me/qurssan

أسرعت «سميرة» للطريق مفرشحة ساقيها، وهي تولول من الألم الرهيب، أسرعوا بطلب الإسعاف، التي نقلتها (للمستشفى الأميري).

تم القبض على «انشراح» وابنتيها، وعندما علم «محمد بخيت» أسرع للمستشفى، قابل الأطباء، قال كبيرهم: من فعل هذا سيسجن لاشك، فقد كادت تموت.

دفع «محمد» مبالغ كبيرة لكي يغيروا التقرير الطبي، وصعد للعنبر المحجوزة فيه سميرة، عندما رأته قالت في وهنٌ شديد: كل هذا لأني زوَّجتك.

ربت كتفها قائلًا: الأطباء طمئنوني.

ثم أخرج مبلغًا كبيرًا من المال، ووضعه بين يديها، فأحست بمدى ضخامته، قال: هذا لكي تتنازلي عن المحضر.

أستطاع أن يقنعها بالتنازل، ففلتت «انشراح» وابنتاها من السجن. لكنَّ «محمد بخيت» أقسم ألا تعود «البيضة» ثانية إليه، تعيش في بيت أمها كما تشاء، وسيرسل إليها مصاريفها ومصاريف ابنه «أحمد» أول كل شهر.

t.me/qurssan

الحارة التي تسكنها «إخلاص» مع أمها «فردوس» وأختيها «خيرية» و«صبرية» اسمها: «عبد اللاه نصار» على اسم جد زوجها، يقولون إنّ الحكومة أطلقت اسمه على الحارة؛ لأنه يمتلك بيوتًا كثيرة فيها، لكنّ البعض أكّد بأن البلدية وقتها، كانت تسمي الحارة باسم صاحب أول بيت فيها، ولكنّ «عبد اللاه نصار» امتلك بيوتًا كثيرة، ليس في هذه الحارة فقط، وإنما في حارات وشوارع أخرى في المنطقة. أنجب «عبد اللاه نصار» ابنين: الأول سمّاه «ياقوت» والثاني «أبو الدهب»، هو وولداه رغم أنّهم من أصول صعيدية، إلا أنّ أشكالهم قريبة جدًا من الخواجات، يؤكد البعض أن جده كان مملوكًا، هرب من مطاردة الوالي «محمد علي باشا» وعاش في (سوهاج)، وتزوج وأنجب فيها.

الغلاف: طارق راضي

أصوات أدبية

الثمن: ٦ جنيهات

t.me/qurssan